

# 95

# مفكر و الاسلام

الحلقة الاولى

محمد الحياي



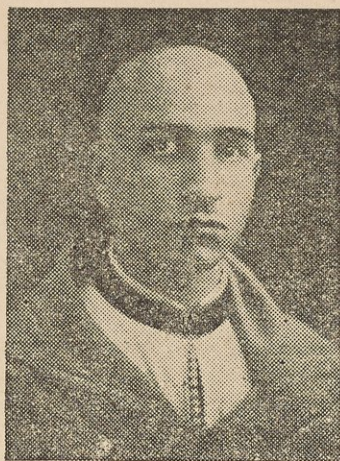
الطبعة الاولى

١٣٦٤ هـ ١٩٤٥ م

مطبعة الامنية

بشارع المأمونية بالرباط

الحكمة ضالة المؤمن يلقطها حيث وجدها  
(حديث شريف)



محمد الحبابي

آبِت لآخِدمِ لآ آخِدمِ  
السيد المسيح (صلم)

LAHBABI, MOHAMED AZIZ

DATE DUE

# مفرد و الاسلام

الحلقة الاولى

/ MUFARRUK AL-ISLAM /



محمد الجبالي

الطبعة الاولى

١٣٦٤ هـ ١٩٤٥ م

مطبعة الامنية

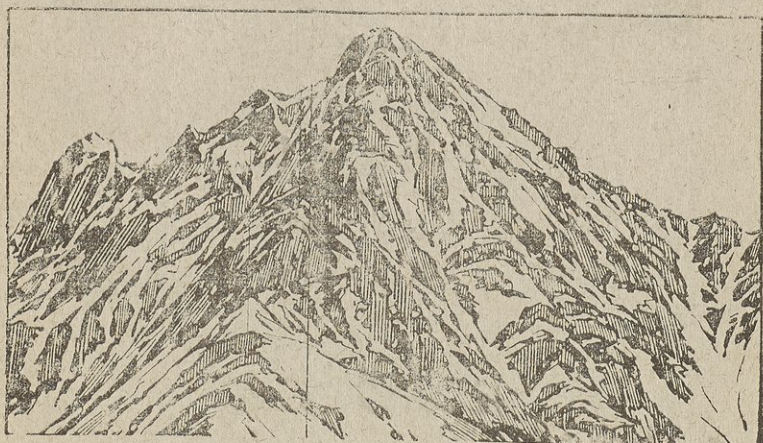
شارع المامونية بالرباط

B  
741  
L 3  
V. 1  
C. 1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد الرسول الحكيم

اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلته حيلتي ، وهواني  
على الناس ، يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ،  
إلى من تكلمني ، إلى بهيد يتهجمني ، أو إلى عدو ملكته أمرى .  
إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي  
أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه  
أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو أن تحل بي  
مسخطك ، لك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك .

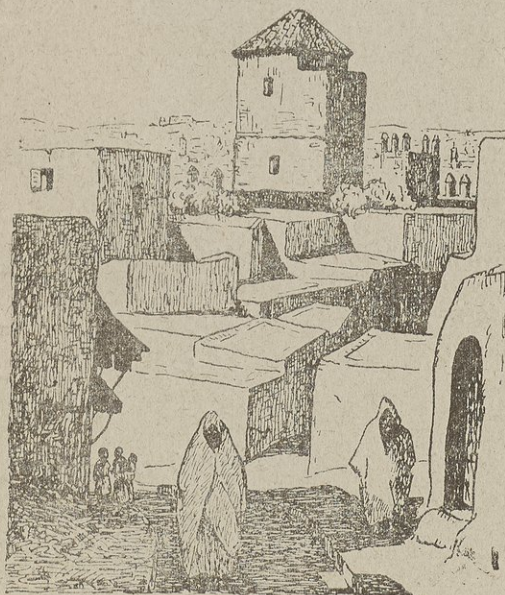


# إصلاح خطأ

بما أنى بفاس والمطبعة بالرباط ، لم أجد لربط الوصل بيننا  
 لتصحيح اللازم من مسيل ، ولهذا وقعت أغلاط مطبعية لا تنوت  
 القاري ، ها أنا أثبت بعضها في الجدول الآتي :

إصلاح	خطأ		
ذي بدء	ذى بدأ	س ٢١	ص ٩
مبادي	مبادي	س ٥	ص ٢٠
الجساسة	الديساسين	س ١٦	ص ٢١
الاسلامية	الاسلامية	س ١٣	ص ٢٦
خوف	خوفا	س ٥	ص ٤٠
مدارس	مذاهب	(في العنوان)	ص ٤٢
بعضها في بعض	بعضها في تقدم بعض	س ٥	ص ٤٧
Cuvillier	Cuvilier	س ١٢	ص ٤٧
Géorge	Géorgs	س ١٤	ص ٥٣
رؤيا	رؤية	س ٧	ص ٥٩
تحريك	حريك	س ١٠	ص ٧٣
زملاءة	زملاؤة	س ١٠	ص ٩٨
كفر	كف	س ١٣	ص ١٠٦
لكنه لا يحتوي	لكنها لا تحتوي	س ١٠	ص ١٠٩

اصلاح	خطاً		
لا تعرف	لا تعرفه	ص ١٢٠	س ٣
وقد وصلت		ص ١٢٥	س ٢
مطر د	مطر ود	ص ١٤٠	(في التعليق)
ماهي	ما هو	ص ١٦٢	س ١٢
بحسب	يحسب	ص ١٨٦	س ١٣
للو بال	للو بل	ص ١٩٣	س ٤
عشرة	عشر	ص ١٩٣	س ١١ و ٨
الصفحة (وقد تكرر هذا الخطأ)	السفر	ص ٢٠٠	س ١١
قانونا	قانون	ص ٢١٦	س ١٦
ارتبات	ارتبات	ص ٢١٨	س ١١
نميز	نميز	ص ٢٢٢	س ٢
يفاجئنا	يفاجئنا	ص ٢٣١	س ٨



مفكرو  
الاسلام

الحلقة  
الاولى

## تمهيد

لا يمكن لعصر من العصور أن يخلو من عباقرة يطلعون مع الشمس من مطلع الشمس، وما كان ليخمد صوت هذا الشرق، تلك المواطن التي انبثقت منها حكمة بوذا، ورفع فيها موسى راية الدعاية ضد الرق والظلم، وكسر فيها شوكة السحرة، وسطعت منها مبادئ الرحمة والدعوة للتآخي الانساني التي ارسل بها عيسى، وتآلقت منها أنوار الهداية الاسلامية التي جعلت الغرب يستقبل الشرق في انبعاثاته، وجعلت الشرق يستقبل الجزيرة العربية في اتجاهه، فما اسمى ما جاء به العرب، وما أعرب ماسموا به، دين الهداية والمدنية، وإسلام السلم والمساواة .  
حقا لقد خفت صوت الشرق وضعفت رناته عند ما انكمش على المادة المجردة واتخذها معبودا أو نسي ما وراء المادة من معنويات، ولما انكب على قشور المعنويات والزهد في ماديات غافلا عن ان الروح لا تقوم بلا مادة، كما أن المادة تصبح أداة



تخريب إذا لم يكن في صلبها عناصر معنوية ، فالمعنويات والماديات هي مقومات الحياة الأولى ، كما تشهد بذلك التجارب اليومية والظواهر الكونية المسلمة ، ففي انفصاليهما افراط وتفريط .

ومنذ عصور ونحن أبناء هذا المغرب من هذا الشرق في تدهور ، بيد أننا بدأنا نحس بالمرض بل بالخطر ونعمل على العلاج ، ولا يصالح الخلف إلا بما صالح به السلف ، لكن ، من منا يعرف السلف ؟ إن بعض الكتب هي وحدها التي تعرف عن سلفنا أشياء وأشياء ، لكن هذه المصنفات مبشرة مغيرة ، ترهقها قترلة ، تشتت ذخائرنا هنا وهناك وابتلعت الظروف الكثير منها ، وأكلت الجرذان حقها وتركت للأرضة نصيبا .

ومهما عظم الضياع فإن الكتب التي احتفظ بها الزمن كثيرا لا بيد ان من عندنا سفر مفقود يضمن به ويريد أن يتبرك به وحده لا شريك له لانه يرى أن من حسن حفظه ومن إذاعة صيته أن يستبد بخطوط هو إرث الأمة بل إرث الانسانية جمعاء .

وقد كان البارى يؤيد من حين لحين بعض المشجعين على نشر الثقافة ويدفع اصحاب الغيرة الدينية او القومية الى طبع بعض الكتب على نفقاتهم او على نفقات حكومت المغرب ، غير

أن الفقر ما يزال ناشرا ظلّه على (مرافع) خزائننا الخاصة والعامة  
بالنسبة لآثار الأجداد الكثيرة.

واقعد أخذ يدب فينا بصيص الأمل حين تأسست بالرباط  
جمعية التأليف والترجمة والنشر، لكن يجمل بنا ألا نخفي أسفنا  
على إقبال هذه الهيئة التي ماتت قبل عقيقتها، راجين من الغيورين  
أن يلدوا أخرى، فإذا خلقت فإنها سوف لا تعدم خطابا من  
مختلف الملل والنحل.

☆☆☆

لقد اعنتى كثير من المستشرقين بدراسة آثارنا  
والبحث عن مكنونات خزائننا و عما تحت غبار الأيام من تبر  
خالص، فالشرق كان مهذا للوحى وكانت ومستبق تتمخض  
فيها الإلهامات والمدنيات.

أخذ إلهام الشرق بلب احد هؤلاء المستشرقين وهو  
البحاث (البارون كارادفو) الفرنسي Baron Carra de Vaux  
فصنف كتباً مختلفة في مختلف نواحي الثقافة العربية الخالدية،  
فألف كتابا عن الغزالي وءاخر عن ابن سينا كما قام بدور هام  
بدائرة المعارف الإسلامية.

ويمتاز هذا العالم بالإصاف في بحوثه والاطلاع.  
وله كتاب Les Penseurs de l'Islame «مفكر و الاسلام»  
في خمسة اجزاء في كل جزء منها ٤٠٠ صفحة، وهو مجموعة آراء  
وتحليلات لأكبر الشخصيات الإسلامية التي أصبحت عالمية،  
وللنضوج الفكري الإسلامي أيام ازدهارنا.

اطلعت على الكتاب فأعجبت به ورأيت من واجبي ان  
أشارك في الاستفادة منها مواطني الذين لا يمكن أكثرهم أن  
يقرأوا بالفرنسية، فترجمت لهم هذا القسم وأضفت الى فصوله  
فصولا أخرى تكميلية، وأصعبته بالتعليق التي ارتأيت فيها تسمية  
للفائدة والترجم المهمة والتواريخ الهجرية، او الميلادية، حين  
يعطى المؤلف نوعا واحدا، كما اني قسمت الفصول الى أبواب  
وقدمت وأخرت تسهيلا على القارئ.

وقد اثرت نقل هذا (١) القسم لتبيان كيف يتفهم الغربيون

---

(١) وهو الفصل الثاني من ج ٤ .

وعناوين الفصول الاخرى بهذا الجزء هي :

(أ) فلسفة المدرسة التقليدية الجدلية

(ج) الصوفية

(د) الموسيقى .

عقائدنا، وما أجدرنى هنا بأن أشير الى ان حاكي الكفر ليس  
بكافر، وان الناقل ليس بمقرر.

فحسى ان اكون موقفا في هذا الخطوة الأولى حتى تكون  
خير مشجع لى على إتمام السلسلة

☆☆☆

وإلى الحلقتين المقبلتين ان شاء الله حيث سننغمز مع الصوفيين  
في غمرتهم ومع الرياضيين فى أرقامهم وتجار بهم.

فاس فاتح محرم عام ١٣٦٢

محمد بن عبد العزيز الحبابى



## مقدمة

أترجم بتصرف مقدمة الجزء الأول من كتاب مفكرى الإسلام لتبيان البواعث التى دفعت بالمسيو (برون كارادوفو) إلى تأليف هذا الكتاب ولمعرفة ما تشتمل عليه مختلف الاجزاء، قال: « إن اهتمام الجمهور بالغرب قد أخذ يتجه نحو الشرق، أكثر من ذى قبل، فالروابط التى تصل دول أوروبا بالشعوب الإسلامية قد ازدادت وثوقاً فى ساحة الوغى أيام الحرب العظمى. وفرنسا اليوم اتصال متين بكثير من الدول الإسلامية، فيجب عليها أن تعرف معرفة كبيرة أهاتها الدول وأن تدرس روحها وماضيها ومعتقداتها وغلزها ومجدها الغابر.



وصل المستشرقون بفضل خدماتهم إلى تعريف الأورويين بأداب شامعة الأطراف غنية رقيقة ومتنوعة مفصلة ما يفتن بالاعمال والأفكار.

وقد طبع الشريون أنفسهم كثيرا من منتوجات أسلافهم،  
فال مواد المنشورة اليوم باللغات الثلاثة العظيمة : العربية والتركية  
والفارسية ضخمة جدا ، وانه ليزداد صعوبة الاتجاه في مثل هذا  
البحور - كما يقول العرب - لمن ليست له تجربة كبيرة ، ولهذا  
كان لازما وجود مؤلفات عامة في هذه الموضوعات ، فنحن  
لاناتي في كتابنا (مفكر و الاسلام) بفهرس المكتب ولائحة  
للأعلام ، بل نقدم زبدة الاختيار ، إذ غايتنا ليست في التكلم عن  
كل شيء ، ولكنها في إظهار الشخصيات البارزة والتعريف بأهميات  
الكتب وبعض الأفكار الأساسية وانظريات المهمة ، فنحن  
لأنجمل بين يدي القارئ ، لأئحة أسماء وعناوين المصنفات ، بل  
إننا نقدم له أشياء حية : أشخاصا وآراء وطبائع .

☆☆☆

إن كل هذه الآداب تنبض أفكارا وحيوية ، وتمجلى فيها  
(طبيعيا) عاطفة حب الحق مع الميل إلى الأخلاق والزهد ، وإن  
حياة الفاتحين (ولو حياة أظفهم) لحاضمت لذوق فني وأدبي  
مفعم إخلاصا ، ولتأثرة بنوع من الغريزة السامية في حب  
النظام ، وبالرزانة والحكمة .

وكتابتنا هذا يحتوي على خمسة أجزاء :

فالأول : خاص بالأجراء والمؤرخين وبالفلسفة السياسية.

والثاني : بالجغرافيتا والطبيعات، فمنذ القديم والجغرافيون

العرب معروفون بأوروبا، وأما مثقفوا هذه الامتة من أطباء  
ومنجمين وعلماء الجبر والكيمياء فمشهورون منذ القرون الوسطى،  
ولهذا نلخص في هذا الجزء الخدمات التي قدموا للعالم :

وفي الثالث : نتعرض للتفسير والفقهاء.

وفي الرابع : إلى الفلسفة السكولاستيكية (١) والكلام والتصوف

وبالخامس : نلتق نظرة على الطوائف والمذاهب

الإباحي الحالي (٢) .

(١) كثيرا ما استرد هذه اللفظة في هذا الكتاب ، ولهذا نلتق عليها

نظرة بادية ذي بدأ في الصفحة التي تلي .

(٢) يتكلم في هذا الجزء عن مذهب الشيعة وما تفرع عنه (الاسماعليون

والدروز والبابيون) وعن النهضة الجديدة بالعالم الاسلامي (الوهابيون

ومدرسة محمد عبده وغير ذلك .)

# الفلسفة السكولاستيكية

## Philosophie Scolastique

اخترت لترجمتها : الفلسفة التقليدية المدرسية، او الفلسفة التقليدية الجدلية .

والفلسفة (السكولاستيكية) هي فلسفة القرون الوسطى ، وتنشر ظلها من القرن الثامن للميلاد (حيث أُمس شرلمان Charlemagne أميراطور فرنسا إذ ذاك ، وهو معاصر هارون الرشيد ، مدارس في أميراطوريتها كانت تدرس فيها المذاهب الفلسفية التي كان مقرها بينز نطية وبغداد وقرطبة) الى القرن السادس عشر أي الى عصر الانبعاث الايطالي .

ولفظ (سكولاستيك) مشتق من لفظة لاتينية كانت تطلق على المدارس في القرون الوسطى (scolasticus) .

ومميزات هذه المدارس الفلسفية هي :

أ) النظام في الأسئلة والأجوبة مع حرية في النقد .



ب) كانت ذات صبغة دينية بمعنى أنها كانت تستعين بالعقل والدين لتثبت أن الإيمان يتفق والبدية العقلية.

ج) عدم الخوض في البحوث العلمية التي من شأنها أن تصل بصاحبها إلى نتيجة معاكسة لما تقرر الكنيسة.

د) ألا تحصر مناقشاتنا في الدين بل ان توسع أفقها (مع الخضوع للدين في الكليات والجزئيات).

هـ) عدم الجدال في المسائل الدينية وإنما التصديق بها لأن العقل لا يمكن أن يفهمها الا بوحى الإلهي.



وهذا القسم الأخير - كما يظهر لي - من أثر اليهود حيث إن الحكماء الإسرائيليين كانوا يقولون بعجز العقل البشري عن إدراك المسائل التي تصطبغ بطابع الفلسفة المحضة والحكم عليها، فعوضا عن أن يكلفوا عقولهم مشقة النظر والتحليل يستندون الى الكتاب المقدس الذي يحضهم على نبذ الجدال المنطق:

«أما الحكماء، فمن أين توجد، وأين هو مكان الفهم؟ لا يعرف الانسان قيمتها ولا توجد في أرض الاحياء....»

الله يفهم طريقها وهو عالم مكانها.... وقال للانسان:

هو ذا مخافة الرب هي الحكمة ، والحيدان عن الشر هو العهم .  
( التوراة ، سفر أيوب ، الاصحاح الثامن والعشرون )  
انظر كذلك في نفس السفر الاصحاحات ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢



القسم

الاول

علم الكلام

# علم الكلام

« منذ نشأة الإسلام أضحى فيه للبحث الفلسفي ذا صلة مباشرة باللاهوت المسمى بالكلام .

دخل علم الكلام في الإسلام عن طريق النقل والرواية ، وهو متقدم على ترجمة كتب قدماء اليونان التي بعثت فيه روحا جديدة ، والحقيقة أنها لم يتبع فلسفة المدرسة التقليدية ، وإنما له شبه بالتدقيقات الجدلية في البحوث اللاهوتية التي كانت مسيطرة على البزنطيين ، ويجب على من أراد أن يقف على أصل هذا العلم أن يبحث في الثقافة المسيحية .



اعتنى في الإسلام بالكلام اعتناء كله قوة وحيوية ، فاشتغل به علماء كثيرون جدا منذ أوائل القرن الثاني للهجرة : وكانوا يناضلون بصلافة شديدة عن آرائهم المتناقضة تناقضا كبيرا ، فيقدر ما قويت وسهلت الآيات القرآنية التي تتعلق بالله وبصفاته

بقدر ما بعد الاختلاف بينها وبين هاتئ التدقيقات في البحث

والجدال ، ومثل ذلك ما حصل من بون شاسع بين الحقوق التي

في القرآن وبين فقه الإمامة المفصل المشعب (١) «



(١) إن هذه الفكرة لتزيدني إعجابا باطلاع المسيو كارا ، فهى بحق  
فكرة خبير بأصول الاسلام وبروعها ، وكانى بها صادرة عن مصاح  
مسلم كبير من زعماء الحركة السلفية .

حبذا لو تفتن إليها المسلمون ، فمن دواعى الاسف أن يشعر  
الاوروبيون بهذه الحقيقة وجمهور الأمة الاسلامية عنها غافلون .

## ماهو اصل علم الكلام؟

قدم المسيو كارا أن أصل علم الكلام من الثقافة المسيحية .  
حقا قد تأثر علم الكلام بالثقافة المسيحية من جملة ما تأثرت به  
المدنية الإسلامية من ثقافات ومدنيات ، لكن التأثير غير الاصل .  
إن علم الكلام علم إسلامي محض أوجدته عوامل دينية  
قاهرة ، ومن الطبيعي أن يكون إسلاميا ، لان الضرورة أم الاختراع :  
أتى الإسلام فصادم مناقضين كثرًا ومحاجين عنيدين ، فلم  
يربداً من مناقشتهم واقناعهم بالبرهان العقلي والدليل القوي ، وكان  
في هذا العراك العنيف قبل أن يتصل بالثقافات الاجنبية ، فقاوم  
المشركين من العرب عباد : « اللات والفرزى ومناة الثالثة  
الاخري » ، والذين ألهموا الكواكب فسخر منهم في حكاية  
إبراهيم : « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال : هذا ربي ، فلما  
أفل ، قال : لا أحب الآفلين . » ، ورد على الدهريين الذين قالوا :  
« ما يهلكنا الا الدهر . » ، وعلى من أنكر البعث : « من يحيى

قصة مقتل عمر في كتاب عمر ابى النصر ، المسمى - عمر بن الخطاب -  
تزدد تبصر ا في دس كعب (١) الاسلام ) ، ويقول عنه الاستاذ  
فؤاد اقرام البستاني في الروائع ١٣ ( ابن خلدون ، مقدمة  
المقدمة ) ، التعليق ٥ ص ١٣ :

« . . يروى عنه المؤرخين والمفسرون كثير من الاحاديث  
والغرائب المتعلقة بقدماء العرب وغيرهم من الشعوب ، ولكن  
اكثر هذه الاساطير لاصحة لها . » ، فهذا قول صريح في كون  
كعب وضاعاً ، ويلقبه الاستاذ رشيد رضا في تفسير المنار ، عند  
شرح قوله تعالى « يسألونك عن الساعة » بـ ( بطل  
الخرافات الاسرائيلية ) .

وإلى جانب هؤلاء جماعة من المغفلين تأثروا باليهودية فنقلوا  
منها الى الاسلام اشياء مشوهة وجدت في سذاجة العرب مرعى  
خصباً فترعرعت ، وعلى راس هذا الطائفة اخص بالذكر  
السدى ووهب بن منبه .

ولابن خلدون ( بالمقدمة ) نظرية في تفسير كيف ذاعت الاسرائيليات

---

(١) وانظر محاضرات الحضارى عند الكلام عن عمر رضى  
الله عنه . وإعجاز القرآن - للرافعى -



بين الاوساط الإسلامية .

في هذا الوسط الغني بالأفكار والنظريات ، وفي هذا العراق العنيف بين المخلصين والمنافقين دعت ضرورة تنازع البقاء بين التقليد والتجديد وبين الجمود والتفكير الى مناقشات في القبول والرد ، ذا سنة ، وذاك زبغ وبدعة

« . . وإنما مقصودنا ( أي علم الكلام ) حفظ عقائد أهل

السنة على أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة ، فقد ألقى الله سبحانه الى عبادنا على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عقيدة هي الحق على ما فيها صلاح دينهم ودنياهم ، كما نطق بعرفته القرآن والأخبار .

ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أموراً مخالفت للسنة فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة أهل الحق على أهلها فأنشأ الله سبحانه طائفة المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة الماثورة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثات على خلاف السنة الماثورة ، فمنها نشأ علم الكلام وأهله ، ولقد قام طائفة منهم بما أيدهم الله تعالى فأحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة والتغير في وجه

« إن المتقدمين حينما حاكمنا كلامهم الى المنطق وجدناهم لم يوفوا بما اشترطوه هناك »

كان العرب وثنيين وكانوا في جوار البنظنيين ورثة الفلسفة اليونانية الوثنية ، وكانت اذ ذاك اتصالات تجارية بين البلدين ، فلم لم يأخذ العرب عنهم مبادئ هاتم الفلاسفة وبقوا في معزل عن البحوث الجدلية الى انبثاق فجر الإسلام ؟

ان طبيعتنا الجزيرة العربية وطبيعتنا ابنائنا ليست فيهما قابلية للفلسفة في حين ان الإسلام جاء وفي صلبها الحض على البحث ، فأخذ العرب - مدفوعين بدافع الدين - في غيرهم من المسلمين يبحثون ويجادلون وينخلون كل ما يرد عليهم من الأفكار والامتنعاجات الدينية والامتنعاجات العلمية .  
فلولا الإسلام لم يكن العرب ليصبحوا اممة تفتخر بالكندي وابن خلدون وامثالهما ....

كما ان لولا الاسلام لم تصل الفلسفة اليونانية الى الغرب منقحة منتقاة من بين كثير من الأوهام ومرتكزة على الملاحظة والتجربة ، مطبقة على قواعد المنطق ( لأن الفلسفة اليونانية نشأت قبل ارسطو واضع علم المنطق ) .

أشرت هنا إلى اليونانيين لأن المسلمين ترجموا كتبهم ،  
فأردت هنا ان اثبت كذلك ان الترجمة غير الاصل .

☆☆☆

كان بالإسلام مشاكل سيامية كالخلافة والإمامة اصطيفت  
بالصبغة الدينية واصبحت الاحزاب السيامية تبنى دعاياتها  
على المبادئ الدينية .

واعتنق الإسلام احبار ورهبان وعلماء في المانوية  
وفي الزرادشتية فأخذوا يشيرون مسائل من دينهم الاول  
ويصبغونها بصبغة الاسلام - الكثير منهم عن غير قصد -  
فيتحمس لها البعض ويعمل على دحضها آخرون

كما اظهر الإسلام بعضهم ليدخلوا في هذا الدين الجديد  
ماليس منها ( كالأسرائيليات ) ، وزعماء هذا الطائفة كثيرون  
اشهرهم كعب الاحبار الذي قال عنه المصلح الكبير رشيد  
رضا : « إنما غش المسلمين بالاسلام ، والذي ما يزال الى اليوم  
( وبالأأسف ) خطبائونا يروون عنها فوق منابر الجمعة ، وكلمها  
ذكروا اسمه قالوا : « ... سيدنا كعب الاحبار رضى الله عنه ... »  
( راجع مقال الدساميين بالجزء التاسع من تفسير المنار وكذلك

العظام وهى رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ! »  
والاسلام نفسه يحض على البحث والنظر : « أولم ينظروا  
فى ملكوت السماوات والارض » « إن فى خلق السماوات والارض  
واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الالباب الذين يذكر  
الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات  
والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه » .

كما يحض على المجادلة لانه دين العقل والايمان عن طريق  
الاقناع بالدليل ، بل يوبخ المقلدين الذين يقولون : « إنا وجدنا  
آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » .

إنه يامر بالمجادلة لكنه يحدد لها آداباً : « ادع الى سبيل  
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن . »  
والتاريخ يحتفظ لنا بكثير من محاجات الرسول ( صلعم )  
لغير المسلمين .



هذه أهم أسس علم الكلام ، وهى إسلامية قرآنية : نعم  
مستنظم هذا الاسس وستتحلى بالصبغة الفلسفية متأثرة بالثقافات  
الفارسية والمسيحية واليهودية ....

إن الدين الإسلامي لا يعمل بالظن : « إن الظن لا يغني  
من الحق شيئاً » ، بل يرغب في الانتباه ودراسة المحسوسات :  
« والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها ... » ، « والتين والزيتون  
وطور سينين وهذا البلد الامين .. » ، « والضحى والليل اذا  
سجى .. » ، « أفلا ينظرون الى الابل كيف خاتمت والى السماء  
كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الارض كيف  
سطحت .. » ، « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض .. »  
نعم إن من أساسه الدعوة إلى التجربة العلمية وإلى العلوم الوضعية ،  
أما اليونان فلم يجعلوا أساس بحوثهم التجريبية ، فبقيت معارفهم  
فلسفة نظريات :

« لم يهتد اليونان مدّة اشتغالهم بالبحوث الفلسفية الى  
جعل التجربة قاعدة البحث وأساس التنقيب » ( هذا ما يعترف  
به المستر هـ . ج ولز الانجليزي في كتابه خلاصة التاريخ العام  
المؤرخ فى أواخر الحرب العظمى ) H. G. WELLS

استعان المسارون بفلسفة المتقدمين على إبراز علم الكلام  
فى حالته الجدلية المنطقية ، على أنهم انتقدوها وتركوا الزبد  
يذهب جفاء ، يقول ابن رشد :

ما أحدث من البدعة ... » (من فصل : القول في بيان مقصود علم الكلام وحاصله - كتاب المنقذ من الضلال لحجة الإسلام محمد الغزالي ) .

ومن العوامل أيضا على إيجاد وتشجيع المجادلات احتكاك المسلمين بعد الفتح بالثقافات الأجنبية ، فكان حب الاستطلاع يدفع المسلمين الى دراسة مبادئ ديانات الأمم المجاورة ليتسنى لهم مناقشاتهم فيها ، والحاجة تتطلب طبعا معرفة خصم الخصم وأقوال الفرق ، وهذه المعرفة لا تكفي وحدها ، بل المناقشات تلزم بالنظر والتأمل فاضطر المسلمون إذن إلى التسامح بالفلسفة لمحايات المسيحيين وغير المسيحيين ، وفلسفة ذلك العصر لم تكن مسيحية !

لا أدري كيف أفند القول بأن أصل علم الكلام من المسيحية ، والتاريخ (الشاهد العدل) يقرر بأن للمسيحية والفلسفة عدوان لدودان؟

يقول التاريخ :

حجتي أن الخصام العنيف ، بل الحرب الشعواء التي قامت في القرن السادس عشر بين الكنيسة وبين المفكرين والمجتهدين من أتباع (ليطير Luther و كالفان Calvin) قد جعلت من

المسيحية دينين لا مذهبين ، وإنما لم يظهر في تاريخ أوروبا  
المسيحية فيلسوف كبير من صف (شبنهور وسبنوزي وبركسن)  
إلا بعد أن خلا للفلسفة الجو من السيطرة المسيحية ، أي بعد  
انتشار الإلحاد في الربوع الغربية وبعد أن انكسرت شوكت  
(الفاتيكان) وخفت مراقبته على التفكير وممارستها لحرية الرأي  
(في المعتقدات وحتى في الميدان العلمى المحض)

ثم يزيد التاريخ :

أما الإسلام فقد ازدهرت الفلسفة بازدهارها ، ومنذ بدأ أنجم  
المسلمين يأفل أخذت فلسفتهم تأفل حتى اننى لا أعرف لهم بعد  
ابن باجة والحامى والكندى ... من فيلسوف كبير

\*

\* \*

جاء في الجزء الأول من الملل :

« طالع شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت  
أيام المامون فخلطت منهاجها بمناهج الكلام ، وأفردتها فناً من  
فنون العلم ، وسمتها باسم علم الكلام . »  
فالاسم إذن أتى في العصر العباسى ، لكن المسمى كان قبل  
ذلك لوجود دواعيه ، ودواعيه - كما رأينا - إسلامية .

حقاً ، قد قضى على كتب المعتزلة أعداؤهم ، لكننا نجد ،  
مهما يكن من شيء ( كتاب الانتصار ) ألفه الخياط للدفاع عنهم  
والرد على ابن الراوندى ( مطبوع ) ، ويشير ابن أبي حديد في شرح  
نهج البلاغة الى الاعتزال ويبسط بعض آرائهم ، ( وهو مطبوع )  
ونجد الكلام عنهم ايضاً في كتاب الحيوان للجاحظ ، وفي العلم الشامخ  
( مطبوع كذلك ) وفي الفرق بين الفرق للبغدادى ( مطبوع )  
وفي مقالات الإسلاميين للأشعري ( مطبوع ) وفي غير  
ذلك من الكتب ....

\*

\* \*

### ( ٣ ) المسعودي

هو أبو الحسن علي المسعودي عاش في القرن العاشر للميلاد ،  
يرتقى نسبه الى الصحابي عبد الله بن مسعود ، ازداد ببغداد وتوفي  
بالقاهرة سنة ٣٤٦ هـ .

وهو من أشهر كتاب العرب وله الباع الطويل في التاريخ ،  
وتغلب على كتابته الدعابة ، وقد اكتسب من كثرة تجواله  
في العالم القديم تجارب ومعلومات قيمة ، طالع تاريخ اليونان  
والرومان وأتقن الفلسفة والأدب .



ألف في التاريخ والاجتماع والسياسة وأصول  
الديانات والمذاهب

ولكتابيه (مروج الذهب) شهرة كبيرة، وقد طبع وترجم  
إلى الفرنسية بعناية م بافي دو كور تاي Pavet de Courteille  
وم باربييي دومينار Barbier de Meynard سنة ١٨٦٥ .



# المتكلمون والمعتزلة

إن المذهب الأول للمتكلمين الباحثين هو مذهب المعتزلة

الدين يعدون خارجين من الدين .

أما مذهب أهل السنة فلم أوليات بالقرءان ، ولم يتم  
استقراره الا بعد النزاع الطويل العنيف الذي خاضه أخيراً من

كفر المعتزلة .

واختص السنيون بلقب المتكلمين ، وكان قبل يطلق على

جميع الباحثين في التوحيد من سنيين وغيرهم .

\*

\* \*

إننا لنأسف جداً لضياح كتب المعتزلة ، فلا نعرف عنهم الا  
ما جاء في فقرتين مهمتين للشهرستاني والإيجي ، (١) وفي الفقرات  
التي ينقلها المؤرخون والمتكلمون الذين أتوا بعدهم .

(١) هو عضد الدين الإيجي صاحب كتاب المواقف الشهير ؛ توفي

سنة ٧٥٦ .

لم يؤسس المعتزلة مدرسة واحدة متحدة بل كانوا مدارس  
متى لأن كل فرد منهم يمتاز بآراء شخصية ، على أنهم متفقون  
جميعاً في نقط أساسية .

والمسائل التي يحللونها تنقسم الى نوعين ، ماهو توحيد  
محض كصفات الله وحرية العبد، وماهو سياسى كالإمامة، ونحن  
لا نتكلم عن هذا القسم الا خير .

\*

\* \*

ويصف المسعودى في كتابه مروج الذهب (ج ٧ ص ٢٣١  
وما بعدها) مناظرات وقعت بين بعض علماء الكلام وفيهم أفراد  
من المعتزلة ، خصوصاً أيام إمارة المتوكل في أوائل القرن الثالث ،  
فيلاحظ أن للمعتزلة آراء في مذهب الشيعة وفي الإمامة ،  
ويصفهم بالغلاة (جماعة من الشيعة المتطرفين )

\*

\* \*

### تعليقان :

(٢) يقول مكارا : إنما لانعرف عن المعتزلة الا ما جاء  
في قهرتين للشهرستاني ولا ينبغي .

إن النتيجة العامة التي نخرج بها من هذا كله هي أن الثقافة المسيحية (من بين ثقافات أجنبية أخرى) أثرت في علم الكلام ، وذلك أمر مسلم يقضى به قانون التفاعل ، وهو قانون يحصل دائماً بين كل جديد وقديم في جميع أطوار الانقلابات التي مرت بها الإنسانية (على أن التفاعل ليس هو الأصل) .  
ونضيف الى هذه النتيجة العامة ، استنتاجاً آخر يظهر

جلياً وهو أن الثقافة الإسلامية أثرت في المسيحية أكثر مما

---

أثرت هذه في الإسلام ، ويلبذ لي ان اختتم بفقرات تزيد تأييداً

لما قلت من كتاب (خلاصة تاريخ العرب للمسيو سيديو الفرنسي)

الترجمة العربية التي اعنتني بها سعادة علي باشا مبارك (ص ٩) :

«.... وأما تاريخ الخلفاء الراشدين وكذا الأموية في دمشق

وقرطبة والعباسية ببغداد والفاطمية بمصر ووصف تمزيق

الإسلامة المشرقية التي أغار عليها الأتراك ثم المغول فدونها

الأفرنج تدويناً حسناً وأضفنا إليها ما تركوا من أصولها وهو

وصف التمدن العربي الذي تمكنت أصوله في أفاق الدنيا القديمة

أقوى تمكن ، ولا تزال الى الآن نرى آثاره حين نبحث عن مستمد

مبادئ ما نحن عليه من المعلومات الأوروبية ، فإن العرب

في غاية القرن الثامن بعد الميلاد فقدوا الحمية الحربية وشغفوا  
بحوز المعارف حتى أخذت عما قليل مدائن قرطبة وطلطلت  
والقاهرة وفاس ومراكش وأصفهان وسمرقند تفاخر بغداد  
في حيازة العلوم، والمعارف وقرىء ما ترجم الى العربية من كتب  
اليونان في المدارس الإسلامية، وبذل العرب همتهم في الاستقلال  
لجميع ما ابتكرته لا أفهام البشرية من المعلومات والفنون وشهروا  
في غالب البلاد خصوصا البلاد النصرانية من أوروبا ابتكارات  
تدل على أنهم أئمتنا في المعارف، ولنا شاهد أصدق على علو شانهم  
الذي تجهلها الفرنج من أزمان مديدة .

الأول : ما أثر عنهم من تواريخ القرون المتوسطة وأخبار  
الرحل والأسفار وقواميس ما اشتهر من الأمكنة والرجال  
والمجاميع الشاملة لكثير من الفنون الفاخرة .

والثاني : ما كان لديهم من الصناعات الفائقة والمباني الفاخرة  
والاستكشافات المهمة في الفنون، وما أوسعوا دائرتهم من علوم  
الطب والتاريخ الطبيعي والكيمياء الصحيحة والفلاحة والعلوم  
الصحيحة التي مارسوها بغاية النشاط من القرن التاسع الى القرن  
الخامس عشر من الميلاد من سنة ٢٨٨ إلى سنة ٩٠٧ هجرية .

## إيضاح حقيقة : قيمة المعتزلة

— على هامش الفصل المتقدم —

في نظر من يعد المعتزلة خارجين من الدين؟

« إن الاسلام لا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ! »

وقد قال الإمام مالك لمن سأله هل المعتزلة كفار :

( من الكفر فروا ) .

وكيف يمكن الاسلام أن يرمى بالكفر جماعة تمتاز بالبحث

وبعد النظر ، ورائدها الوصول إلى معرفة الله ؟

وكيف يمكن الاسلام ان يرمى بالكفر جماعة قد اخذت

على عاتقها ان ترد على الملاحدة والدهريين وان تدود عن

الدين الحنيف ؟

فإن شاءت المدارس الفلسفية ان تقباهى فلا سلام ان يباهى

بالمعتزلة ، فمذهبهم يرتكز على فلسفة متينة في اغلب مبادئها ،

ينصرونها نصراً مؤزراً ، فهل من الجائز ان يحمل المسلمون

التكفير في محل الاعجاب ؟

إن الدين وصفوا المعتزلة بالكفر هم زمرة من المتزمتين كانوا - لبعدهم عن ميدان الفكر وجهلهم بالبحوث العقلية وقصور إدراكهم لها - يرون في الفلسفة خطرا على الدين ؛ مع ان للجدل الفلسفي اكبر الايادي في رد شبهات وهجومات خصوم الاملام الذين حاولوا تهديمها عن طريق هذا النوع من الجدل .

\*

\* \*

هؤلاء الشيعة قد اندفعوا بدافع سياسي إلى تأييد علي كرم الله وجهه بكل الوسائل ، ولو ادى ذلك إلى تنفيذ الفكرة السياسية : [ الغاية تبرر الوسيلة ] فنالوا من اعراض كثير من الصحابة رضوان الله عليهم ، وابتدعوا طوائفهم بآراء ياباها الدين . الشيء الذي اتم يات به المعتزلة ، فلنقارن مثلا بين الاسماعيليين والروافض وغيرهم من طوائف الشيعة وبين مذهب الاعتزال ، نجد ان المعتزلة كانوا اكثر تحفظا من الآخرين واكثر رزانة ؛ كانوا يحكمون العقل في المعتقدات والاشخاص ، صرحاء غير مباينين بتقديس الجمه - و لهذا او مخطئ على ذلك ، وإنما يضعون الفرد على بساط الفحص والتنقيب ثم يبدون رأيهم له

او عليه مؤيدا بحجج منطقية غير متأثرين بنزعة حزبية .  
فهل يعد اصحاب هذه الخصال الاسلامية غير مسلمين ؟  
ومن مواقفهم الصلبة الخالدة مهاجماتهم اصحاب السلطنة  
نهيا للمنكر ، كما جارتهم للوليد الخليفة الاموي حين تظاهر  
بالتهتك والخلاعة .

جاء في ج ٢ ص ٣٣٧ من (عيون الاخبار) لابن قتيبة ،  
حكاية تعطينا صورة حية عما قدمت عن صرامة مواقفهم في نصيح  
امراء الامنة وحت رؤسائها على الحكم بالعدل واتباع  
الصراط السوي :

دخل عمرو بن عبيد على ابي جعفر المنصور ووعظه  
في لهجة من لا تاخذة في الله لومة لائم ولا يخاف الا ملطمة  
الله ، في لهجة المخلص والمسلم التقى .  
فهل يكون امثال هؤلاء كفارا ؟



فما اجدر اليوم شبابنا المعجبين بمفكرى فرنسا في القرن  
الثامن عشر بدرامة مذهب المعتزلة ليتضح لهم ان افكار  
اولئك الغريبيين - ( اعنى اصحاب دائرة المعارف كما يسميهم  
التاريخ ) Les Encyclopédistes وهم فولطير ودالامبير



وديدرو وموتيسكيو (....) ، تلك الافكار المبنية على  
(الراسيوناليسم Rationalisme) اي على مذهب البحث  
المنطقي والحكم العقلي المجرد - كلها افكار ليست بغريبة عن الاسلام.  
وما اجد راولثك الشبان بدراسة المعتزلة ليروا كيف  
استطاع الدين الاسلامي الحنيف ان يروي غليل فكرة المعتزلة  
(الراسيوناليسم) وان يزيد في ايمانهم به رسوخا مع ان المسيحية  
لم تسع تعقلات مفكري القرن الثامن عشر (الراسيوناليسم) ، ولم  
تشف تعاليمها غليلهم ، ولم تجد الكنيسة الى اقناعهم سبيلا .



# اسس مذهب المعتزلة

جاء في ص ٢٠ من ج ٤ من مروج الذهب صفحة مفيدة يلخص فيها المسعودي آراءهم في التوحيد ، فيقول :  
إن لهم خمسة اصول يتفقون جميعا عليها :  
« ١ » وحدانية الله وطريقته إدراكها :

( ا ) فالله لا يشبه الاشياء إذ هو ليس بجسم ولا عرض ولا جثة ولا عنصر ولا ذرة ولا مادة .

( ب ) بل هو خالق الجسم والعرض وما نعرف عن الذرة والمادة ، ومخرج كل ذلك من العدم .

( ج ) لا تدركها الحواس لافي هذا العالم ولا في الآخر .

( د ) لا يوصف بالمساحة ، اي ليس لها اتساع ولا طول ولا كبر ولا صغر .

( هـ ) ليس لها زمان ولا مكان ولا اول ولا نهاية .

( و ) انها قديم خالد سرمدي ، وكل شيء عدالة مخلوق .

«٢» مبدأ الاختيار أو خلق الافعال :

( ا ) انها لا يجب الشر .

ب ) انها لا يخاق اعمال العباد ، لكن الناس يخضعون  
لاوامر الله ويتعدون عما نهاهم عنه بالقوة التي أعطاهم اياها  
وخلقها فيهم .

«٣» الوعد والوعيد :

( ا ) ان الله لا يفرح لمركب الكبائر الا اذا تابوا .  
ب ) ان الله لا يخلف وعده كما لا يخلف وعيده ، فكلمته لا تتغير .  
«٤» المنزلة بين المذلتين :

اي ان مرتكب الكبائر ليس بمومن ولا بكافر ؛ بل انه فاسق  
( وكل الاتقياء قد اجمعوا على هذا الاسم )  
«٥» وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر :

( ا ) وهذا واجب يتحتم القيام به على الجميع ، كل على قدر  
طاقته ، فاما بالسيف واما بطرق اخرى . ( ١ )

( ١ ) والى هذا المعنى نفسه ، يشير الحديث الشريف « الصحيحان »  
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم  
يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان »

ب) انه لا فرق بين الجهاد ضد الكفار والجهاد ضد صاحب  
الكبائر « الفاسق » .

\*

\* \*

هذا هو النقط التي تتفق عاينها جميع فرق المعتزلة ، ولا  
تميز بعضهم عن بعض إلا بنقط ثانوية ، يقول المسعودي انه قد تكلم  
عنها في كتبه الاخرى ، لكن وبالاسف ، قد ضاعت هاته الكتب .



## آراء المعتزلة

وهنا يأتي (م كارا) بما حكى أبو المحاسن [ج ١ ص ٣٤٨] عن  
المسألة التي وقعت بين واصل بن عطاء والحسن البصري  
وكانت سبب اعتزال واصل وإطلاق لفظة معتزلة عليه وعلى  
أتباعه ، أرى انها مسألة معروفة لا تحتاج إلى ذكرها هنا  
خصوصا وأن المؤلف لم يبين فيها أية فكرة وإنما عرضها عرضا ،  
ولهذا أتقل بكم إلى ما بعدها .

\*

\* \*

لقد سمي المعتزلة أعداؤهم بالقدرين لانهم ينسبون أعمال  
الإنسان الى إرادته الشخصية ويزفون القول بخضوعها للقدر ،  
وهذا الاسم في الحقيقة - كما لاحظوا ذلك أنفسهم - ينطبق على  
نظريته خصوصهم الذين ينسبون أعمال الإنسان الى قدرة الله .  
وقد أطلق المعتزلة (١) على أنفسهم اهل العدل والتوحيد

---

(١) للاستاذ احمد امين (فجر الاسلام ج ١ ص ٣٣٨) دراسة مفيدة

حول تسميتهم بالمعتزلة .

لأنهم يقولون :

ان الله تعالى يفعل وجوباً ما ينفع الانسان، ويجازى - وجوباً -  
على الفضيلة ( وهذا ما يسمونه بالعدل ) .

ويرفضون الاعتقاد بصفات حقيقية وقديمة ثابتة في جوهر  
الله ، وذلك خوفاً من ان تجعل هذه الصفات تعدداً في جانب الله  
( وهذا ما يسمونه بالتوحيد ) .

ويقررون جميعاً :

ان القدم صفة خاصة بالله ،

وينفون عنه الصفات المضافة إلى جوهره -

كما يعتقدون أن كلام الله ( القرآن ) مخلوق ومركب من  
حروف وأشكال ،

وأنها لا يمكن أن يرى أحد الله في الدار الآخرة بعيون

الجسد .

ويلزمه تعالى أن يمشي العالم بحكمته ؛ وان لا يعمل إلا ما

فيه الصلاح ،

كما هو ملزم ايضاً بأن يجازي على الحسنات وعلى التوبة ،

وان يعاقب اصحاب الكبائر .

وبعد أن تكلم الإيجي عن أصل المعتزلة وعن العقائد التي  
هم متفقون عليها ، انتقل الى كلام مفصل عن طوائفهم الكثيرة :  
« إن المعتزلة ( بالرغم عن كونهم متفقين على هاتئ النقطة  
الأساسية ) يختلفون في أخرى ، فينقسمون إلى عشرين مدرسة ،  
كل واحدة منها تكفر الأخرى . »



# مختلف مذاهب المعتزلة

ثم ياخذ الإيجي يعدد تلك المدارس ويعطي ملخصاً عن آرائها، وسنرى منها الثلاثة الأولى، ونشير هنا إلى أن الشارح السيد الشريف الجرجاني يصرح بأن المعتزلة قد تأثروا بكتب الفلاسفة القدماء (١)

\*

\* \*

## المدرسة الأولى:

الواصليون وهم أتباع واصل بن عطاء، ينكرون صفات الله، يقول الجرجاني إنهم اعتنقوا هذا المبدأ، بعد قراءة كتب الفلاسفة (١) لكنهم يثبتون لله العلم والقدرة ويجعلونهما صفتين أساسيتين وهاتان الصفتان في نظر الجبائي إيضاح لكن الله الدائم،

---

(١) الفلاسفة القدماء، أو الفلاسفة (حسب) أو (القدماء) هم اليونانيون (من باب التغليب) وأعلام الفلسفة الإسلامية إذ ذاك وهم الكندي والقارابي وابن سينا.



وحالات وأفانين في نظر أبي هاشم .

وترفض مدرسة واصل تعلق قدرة المرء بإرادة الله ،

ولا تنسب الشكر لله .

وتقول بأن مرتكب الكبائر في منزلتين بين المنزلتين ( ليس

بكافر ولا بمومن ) .

ولههم آراء خصوصية في خلافة عثمان وفي الإمامة .

☆☆☆

## المدرسة الثانية

وهي مدرسة أبي الهذيل ، أتى هذا العالم جيلين بعد

واصل ، ويعد ، بعد ابن عطاء ، الرئيس المهم عند المعتزلة ، فقد

حمل رأيهم وأيد طرقهم .

ومذهبه أن الأشياء ، التي قضى بها الله ، والمخلوقات كل ذلك

سيفنى ( هذا فكرة لا تبعد عن رأي جهم ( ٢ ) القائل بأن الجنة

---

( ٢ ) هو جهم بن صفوان الخراساني ، وله مدرسة اشتهرت تحت اسم

الجهمية ، وهو من زعماء الجبرية الذين يدعون أنها لا اختيار للانسان

ولا قدرة ، ويعد جهم من المعتزلة مع أن هؤلاء لا يقولون بالجبر وذلك

لاتفاقه معهم على نفي الصفات عن الله وعلى خلق القرآن ، فقد صرح

بأن كل ماورد في القرآن من صفات الله ( سمع ، بصر ، كلام ، . . )

يجب أن يؤول إذ لا يصح وصفه تعالى بصفات تشبهه بخلقه ، ويبني على

والنار سيفنيان ) ..

وأن أعمال أهل الجنة والنار يجب ان يخلقها الله لأننا إذا كانت متعلقة بأصحابها (المؤمن منهم والكافر) يكون هؤلاء مكلفين أيضاً ويجوز على هذا إمكانية الجزاء والعقاب ، مع أن هذه الإمكانيات لا توجد في الدار الأخرى  
وتريد هذا المدرسة قائلنا :

إن أهل الجنة وأهل النار سيصيرون إلى حالة سكون دائم  
يحتوي على نعيم للمتعمر عليهم وعلى آلام يشقى فيها المفضوب  
عليهم ،

وأن الله عالم بعالم هو هو ،

---

هذه الفكرة ان القرآن مخلوق لان نفي الكلام عنه تعالى ينفي طبعاً ان يكون القرآن كلام الله القديم ، على أن بعض كبار المعتزلة كانوا يترأون من مذهبه ، قال أحدهم وهو بشر بن المعتز :

« نفيهم عنا ولسنا منهم \* ولا هم منا ولا نرضاهم

إمامهم جهنم وما لهم \* وصحب عمرو ذي التقى والعلم؟ »

وذو التقى والعلم هو عمرو بن عبيد من كبار رؤساء الاعتزال ومؤسسيه .

وبهذه المناسبة أتبه الى مقال ممتع للاستاذ الامام بالعروة الوثقى ،

عنوانه ( القضاء والقدر ) لا تخلو قراءته من فائدة لمن ليس له استقرار

فكري في مسألة الجبر والاختيار .

وقادر وقدرتها هي عين ذاتها .

وانما يريد بإرادته ، وإرادته صفة أيسر في مكان ( وقد

سبق واصل إلى هذه الفكرة )

وان كلمة « كن » التي هي اساس الخلق ليست في مكان ،

أما الكلام الآخر من أمر ونهي وأمثال وغير ذلك فكله في مكان .

ولهذا المدرسة التي تتكلم عنها آراء خصوصية فيما يتعلق

بعلم الحديث ، فقد كانت تنمقدا .

مات أبو الهذيل الملقب بالعلاف سنة ٢٢٦ هـ .



## المدرسة الثالثة

هي مدرسة النظام (١) الذي قال عنه الجرجاني إنه أحد

شياطين القدرية ، درس الفلاسفة القدماء ومزج أفكارهم بأفكار

المعتزلة ، يقول أتباعه :

إن الله لا يمكن ان يفعل بالعبد غير الصالح والاصالح .

وانه تعالى لا يمكنه ان يضاعف او ان يخفف العقوبات والآلام

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن سيار أستاذ الجاحظ في علم الكلام ،

ولد [بالبصرة سنة ١٨٥] وتوفي [٢٢١] كان حاد الذهن دقيق

الاستنباط شاعراً كاتباً .

ويظنون ان الوسيلة الوحيدة لابعاد الشر والفواحش عن الله هي تجريدنا من السلطة عليها ، قال الشارح : فمثلهم كمثل من يرتعي بنهر حتى لا يببله ماء المطر .

وقد قالوا ان معنى « أن الله » يريد عماه « انه يخلقه طبقاً لما سبق في علمه ،

وان معنى أن الله « يريد عمل العبد » انه يامر به ، فعندهم ان الانسان هو العقل وإنما الجسم آتته ( فكرة أخذوها عن الفلاسفة ) .

ويقول النظام بأن العقل جسم لطيف ينصب من الجسد كما ينصب ماء الورد في الوردة ، والسمن في الحليب ، والزيت في الجالجلان ، فالاعراض والالوان والاذواق والروائح أجسام في نظرهم .

وأما المادة فهي مجموعة اعراض ، فمادة العلم والجهل والمعصية والكفر والايان واحدة<sup>(١)</sup> ، هذه فكرة توجد عند

---

(١) ان رأي النظام في الاخلاق أنه ليست لها قيمة ذاتية ، بل هي نسبية تختلف باختلاف الاديان والبيئات ، وقد بسط هذا الرأي البغدادي ورد عليه متهماً :

« وعليه ، يكون من قال للنظام انما ابن زنى كمن قال له

الفلاسفة لكنهم يقولون بأن ذلك صورة تنطبع في القوة المفكرة:  
قد خلق الله الأشياء دفعة واحدة في مرة واحدة على  
الشكل الذي هي عليه الآن الصور والنباتات والحيوانات والناس،  
فخلق آدم لم يتقدم على خالق ذريته، لكن الخالق قد حجب  
المخلوقات وستر بعضها في تقدم بعض، ويرجع تقدم هذا وتأخر  
هذا الى ظهورهما فحسب، وهذا فكرة تسبق اليها أيضاً الفلاسفة  
حين دراستهم لمسألة الخلط الاول والتزميل والبروز (١)  
Le mélange inétial, l'enveloppement et l'extériorisation)

انه ابن حلال ...»

ويسوءنا ان نرى البغدادي يرد على النظام دون أن يتصور رأيه  
تصويراً تاماً، ولنظرية النظام انصار من علماء الاخلاق بأوروبا كثيرون  
(انظر كتاب كيفيلبي Cuvilier مثلا الجزء الثاني

في الاخلاق (Manuel de Philosophie tome 2)

(١) وقد اخذ هذه الفكرة ملبراناش (Malebranche) الذي يقول  
بأن الاسباب [الموجبات] تندمج الى مالا نهائية لها ثم يفصل بعضها عن  
بعض وكانها مجموعة أغشية هـ (تعليق المسيو كارا).

(أ) Nicolas de Malebranche [ ١٧٢٥ - ١٦٣٨ ]

ازداد ومات بباريز، ويعد فيلسوفاً نظرياً وطبيعياً، كان شغوفة  
بآراء «ديكارت»، وآثاره هي:

البحث عن الحقيقة (Recherche de la Vérité) وكتاب التأملات المسيحية  
(Les Méditations Chrésiennes) ويمتاز على الخصوص بدرامات لما وراء الطبيعة

وقد ادعى أفراد هذا المدرسة بأنه في قدرة الانسان أن  
يأتى بشيء جميل كالقرآن بل بما هو أحسن منه، لان جمال القرآن  
ليس في أساوبه بل فيما فيه من إيضاحات لغوامض الكون  
وكانوا متشككين في صحة الاحاديث الروية،  
ويدعون ان التواتر قابل للغلط وانه لا يمكن أن يعتمد على  
الاجماع والقياس .  
ويعترفون بحق علي .

\*

نرى مما تقدم مقدار حيوية الحر كمة الفكريّة عند هذه

\* \*

المدارس ومقدار ما وصلت اليه من دقة وحداقمة في البحث .

وليس في الحقيقة ماخص الايجي ولا ماخص الجرجاني ولا

مقالات الشهرستاني، الاحطام جهود فكريّة مملات أكثر من قرنين

☆☆☆

«ب» وهذه الفكرة نفسها عندنا بالقرءان العظيم [الآية ١٧٢ الحزب

١٨ سورة الاعراف ] :

«وإذا اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على

انفسهم : الست بربكم ؟ قالوا بلى .»

ويرجع الفضل في استنتاج هذه الفكرة من القرءان الى العلامة

القاضي سيدي محمد السائح فهو الذي ارشدني إليها

ومشاهير المعتزلة الآخرين هم : الجاحظ (١) الذي نعرف آثاره في نواح أخرى أكثر منها في هذا الميدان ،  
والجباثيان ( الاب والابن ) ، لكن مذهب المعتزلة أيام الجباثي لاقى معارضة فعالة ضعفت شوكتها وأبطلت سيرها ، وكان على رأس هذه المعارضة الامام الأشعري الذي قضى على ازدهارها .



---

(١) ابو عثمان الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ  
إن افكار الفرقة الجاحظية « في ميدان الاعتزال » لم توج روحان  
مصنفات ابي عثمان العلمية والادبية التي قال عنها ابو الفضل بن العميد  
الوزير : « كتب الجاحظ تعلم العقل اولا والادب ثانيا . »  
(4)

## الخلفاء والصراع المذهبي

كان الخلفاء يشاركون في هذه الخصومات مشاركات عملية، فلم يكتفوا بجمع العلماء عندهم وحضهم على المناظرات بحضرتهم، بل كانوا يقومون بدور مهم في هذه النزاعات المذهبية، وكثيرا ما أوقفوا المشاجرات أو فرضوا آراءهم الشخصية، فيما يخص الإيمان، بفضل ما كان لهم من سلطة معنوية (لأن الخليفة هو الرئيس الديني) وما كان لهم من نفوذ مادي مطلق، فدراسة هذا الدور الديني الذي لعبه الخلفاء لا تخلو من أهمية، فإذا كانت تحط أحيانا من رأيهم ومن تسامحهم، فهي على الأقل تعيننا على تفهم سير هذا الهيكل الديني الشاسع الأطراف الخاضع لحكم الإله (مبدئيا): الإسلام.

والمسألة التي اهتم بها الخلفاء في الوقت الذي نتحدث عنه هي مسألة خاق القرءان، فأسسوا لهذه القضية شبة ديوان التفيش، وكانوا يديرونه بأنفسهم، فيسألون العلماء ويعاقبونهم



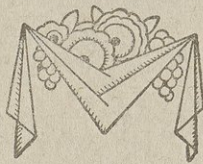
عقوبات صارمة ، ومن هنا مسألة ( المحنة ) المشهورة .

\*

\* \*

وبعد هذا يسترسل (م كارا) يسطر مسألة خلق القراءان وما

لاقت من تأييد واعترض ، ومحنة الإمام أحمد بن حنبل ، أرى  
ان القراء يعرفون هذه الناحية ، أو على الأقل يمكنهم الرجوع  
اليها بسهولة ، فالذي يهمننا هي آراء (م كارا) وملاحظاته  
ومقارناته ، أما ترجمته وقائع تاريخيته معلومة فمن باب « هذا  
بضاعتنا ردت إلينا » .



إظهار حق

## تسامح الخلفاء

يقول م كارا عن الخلفاء (في الفصل المتقدم) :

« ... فدراسة هذا الدور الديني الذي لعبه الخلفاء لا تخلو

من أهمية، فإذا كانت تحط أحيانا من رأيهم ومن تسامحهم، فهي

على الأقل تعيننا على تفهم سير هذا الهيكل الديني الشاسع

الأطراف الذي هو الإسلام . »

إن هذا الدور لا يحط في شيء من قيمة هؤلاء الخلفاء، فهو

إن دل على شيء فإنما يدل على وفرة ثقافتهم التي كانت تمكنهم

من المشاركة في مثل هذه المناقشات الفلسفية العالمية .

لا أنكر ما كان (بعضهم) يظهره أحيانا من تعصب لآرائهم،

وهذا شيء غريزي في الإنسان منذ كان . ونشاهد اليوم بكثرة

عند الأحزاب المختلفة في مبدئها في الأمتة الواحدة، فكم من

أب يعادي ابنه، وأخ شقيقه، لأن أحدهما شيوعي مثلا

والآخر رأس مالي ...

وهذا (فولطير Voltaire)، فمع شهرته العالمية بحريته  
فكره وهجومه العنيف على التعصب، لم ينبج من هذا الداء الذي  
حاول حياة طويلة معالجة المجتمع منه، فلقد كتب مرارا في لهجة  
حادثة وبغضب ضد من خالفوا الرأي، وتمنى مرارا أن يسجن  
الذين لم يؤمنوا بعبادته أو أنتقدوها، ولعمري أين هذا من التسامح؟  
أما إذا تصفحنا تاريخ الحركة الفكرية بالغرب في القرون  
الوسطى فإننا نجد المدهشات، فهذا يحرق لمجرد قراءته لكتاب  
لا يقول به البابا، وهذا يشنق لأنه صرح بفكرة لا تقرها الكنيسة  
(ولو في الميدان العلمي الصرف، كدوران الأرض مثلا) ومحنة  
(غاليلى Galilée) (١) الإيطالي أشهر من أن تذكر وكذلك  
مسألة معاصرة (ديكارت (١) Descartes) الفرنسي وما قاما  
في سبيل أفكاره وما نصبت له ولكتبه من عراقيل (انظر تفصيل  
ذلك في كتاب الدكتور جورج بوني عن ديكارت  
Georgs Bonnet)، وهذان الرجلان عاشا بعد الانبعاث  
الإيطالي والنهضة الفرنسية، في القرن السابع عشر (وما  
بالمهد من قدم! ...)

من هذا يظهر أن (هذا البعض) من الخلفاء لم يأتوا بما

---

(١) سيأتي الحديث عنهما .

يُجمل (نسبياً) ... بل على العكس قد سجلت أكثر يتهم في تاريخ  
المعرفة مواقف ، خالدة وأعمالا سامية في سبيل الرقي العام ، وقد  
كانوا يجعلون الإسلام مدنية وثقافة مشتركة لا عقيدة وتعصبا ،

أو دينا وجمودا ، ومن هنا أخذ الكثير من أحرار الفكر ، إمرائيليين  
ومسيحيين وفرس ، بحظ وافر من المعرفة والتفكير الحر ، ووجدوا  
أكبر تشجيع وعناية في مكتبات هؤلاء الخلفاء و (صالوناتهم) ،  
وتاريخ (دار الحكمة) وما بذله المأمون لتراجمتها لأكثر دليل ،  
فمنهم ، وهم أكثر ، بختيشوع وآل حنين وآل نوبخت ....

وقد أسهب أبو الفرج الأصبهاني بكتاب الأغانى ، في التحدث  
عن مجالس الخلفاء الأدبية والفنية وعن مناظراتهم العلمية ، كما  
امتوعبت الكثير من ذلك مختلف كتب الآداب والتاريخ ،  
وخص كذلك الدكتور أحمد فريد رفاعى في المجلد الأول من  
تأليفه (عصر المأمون) فصلا عن تلك الاندية وتلك المناظرات  
وصورها تصويراً يجعلها أقرب ما يكون « بصالونات » فرنسا  
في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ومن تسامحهم أنهم كانوا يدنون منهم الفنانين والادباء  
والعلماء ، من المسلمين وغير المسلمين ، ويمنعونهم ثقافتهم وتأييدهم بل

كثيراً ماقلدوهم أعلى المناصب في الامبراطورية الإسلامية ،  
واذكر على سبيل المثال : الأخطل النصراني الشاعر ومنكبه الهندي  
وسعيد بن يعقوب الفيومي ( وهو أول يهودي الف بالعربية  
في العقائد ، يدعو في كتابها الى تحكيم العقل وعدم الجود مع  
النصوص الدينية ) ، وموسى بن ميمون الملقب بأفلاطون اليهود  
الذي تربى بين أحضان الاسلام وارتوى من ينبوع الثقافة الاسلامية .

\*

\* \*

هذا من الوجهة الدينية والعلمية والفنية ، أما من الناحية  
السياسية ، فيشهد التاريخ بأن في عصر المدنية الاسلامية ظهرت  
الاحزاب المتباينة ، وتعددت الطوائف وكثرت النحل ، الشيء  
الذي يجعلنا نعتقد أن حرية الفكر كانت سائدة إذ ذاك بفضل  
تسامح أصحاب الحل والعقد .

ويروى لنا صاحب الاغانى الكثير من هجاء الشعراء  
لمعاصريهم من الحكام والخلفاء ، من هؤلاء الهجائين سليم بن  
يزيد العدوي الذي كان يمان سخطه على الوزراء ، بل يصرخ  
بدم الخلفاء ، يقول عن أبي جعفر المنصور وعن وزرائه :

« حتى متى لانرى عدلانسربه \* ولا نرى لولة الحق أعوانا

مستمسكين بحق قائمين به \* إذ اتلون أهل الجور أوانا؟

يا للرجال لداء لادواء لها \* وقائد ذى عمى يقتاد عميانا»

ولما قيل للمامون ( وهو خليفة ) :

« إن دعبل الخزاعي قد هجاك . »

أجاب : « وأي عجب في ذلك؟ هو يهجو أبا عباد ولا

يهجونى أنا؟ ومن أقدم على جنون ابى عباد اقدم على حامى .

وامثال هذا كثير وكثير جداً ، بيد اننا نلاحظ ان كل

هؤلاء الهجائين والمتهجمين على الخلفاء لم ينلهم سوء ، لانهم

كانوا يتمتعون بحرية القول كالصحافيين في بعض الامم لهذا العهد .



وما اجدرنى هنا ان افطن الى ان حرية الرأي حداً - حتى

في القرن العشرين ، وعند من يسمحون بها لشعبهم من الدول

الراقية - وانها لا تعطى جزافاً بلا قيد ولا شرط ، بل ان حرية

الرأي تخوماً يجب على المرء ان يقف عندها ، فكل حرية

تجلب للامة الوبال والدمار يجب ان توقف بالعنف ، فمن ذلك

فتك بعض الخلفاء بوزرائهم ، محافظة على امن الدولة ، لما شعروا

بهم يغزلون في السراء لصالح الاحزاب المعادية للخليفة او

لا سرتهم (فمن حفر حفرة لغيره وقع فيها (١) ، وكذلك حارب الخلفاء كل من شكوا في حسن طويتهم ادولتهم أو لدينهم ، كأولئك الذين تظاهروا بالإسلام وأخذوا يدسون لها في الخفاء ، فهذه أنواع من الحرب السريية ومن واجب الذين على عاتقهم مسؤولية الأمتان يواجهوها ، وأن يقضوا على القائمين بها ، دون أن يكون هذا العمل حاجزاً بين الأمة وحرية الرأي ، بل على العكس ، إن القضاء عليهم من دعائم هاتما الحرية ، لأنها لا تعيش وتزدهر الا مع السلم والأمن .

فإذا كان التصريح بأراء جديدة مبعثه البحث لا التشويش ، وغايته الوصول الى الحقيقة لا الدس والغدر ، عاش صاحبه آمناً مطمئناً ، فالمعري الذي حمل على جميع الأديان ، والمتنبي الذي تناول حتى ادعى النبوة ، وابن سينا والفارابي الذان حاولا ملامة الدين مع الفلسفة ، والرازي الذي أنكر النبوة والأنبياء ، وزعم أن كتب الإغريق القديمة أنفع من الكتب المقدسة ، والحاتمي الذي جعل درجة الصوفية أعلى من درجة النبوة وحاول توحيد جميع الأديان لان غايتها واحدة ، كل أولئك زعماء في حرية الرأي ، وكلهم استطاعوا أن يعيشوا تحت أكناف الإسلام ، وان يصرحوا بأرائهم الغريبة التي سجلت حتى وصلت إلينا .

(1) مثل مغربي

## الامام الاشعري

ثم يأتي بعد ذلك فصل عن حياة الامام الاشعري ومواقفه  
ضد المعتزلة ، بعد أن كان منهم ، ورجوعه الى مذهب أهل السنة  
ومقاومته لفكرة خلق القرآن ( وهذا كله معلوم لأنطيل  
الوقوف فيها ) ، قال م كارا :

لقد جعل الأشعري حداً لذلك النوع من الإباحة ، وما نتج  
من التباس عن تفكير المعتزلة الذي تعدى حدود حرية الرأي ، وأعاد  
لعلم الكلام وحدته ، وضبط السنة وحددها ، فالاشعري قبل  
الغزالي هو الشخصية الممتازة في علم التوحيد العربي .

ولد بالبصرة سنة ٢٦٠ من أسرة يمنية كانت تتمتع بشهرة  
طبيعية ، ومن أجدادها أبو موسى الاشعري الصحابي الذي زعموا  
أنه كان يشتغل بالبحث في التوحيد وكان يعضد آراء أهل السنة  
ضد عمرو بن العاص فاتح مصر .

\*

\* \*



تقدم للاشعري أنه كان معتزلياً وأنه تلمذ للجيباءى ، ( وهو شيخ الاعتزال المبرز ) ، فكتب سفيراً ضخماً دفاعاً عن مبادئ المعتزلية . ثم انتقل فجأة إلى مذهب أهل السنة وعمره ذاك أربعون سنة .

ولسبب هذا الانقلاب الفجاءى تفاسير مختلفة ، من ذلك ( ما يوجد فى حكاية تنسب إليها ) أنه شاهد النبى ثلاث مرات متتابعة فى رؤيته [!] وأنه طلب منها ان يتخلى عن المنطق يعتقد السنة ، فلاحظ الأشعري ان الاحاديث محل للشك كما يرى المعتزلة ، فأجاب النبى بأنه على العكس ، فالشك يتسرب إلى الحجج العقلية .

هذه حكاية غير متحققة الوقوع ، فأقرب منها إلى القبول كون الاشعري لاحظ ان المناقشات بإفراط لا بد ان تصل إلى سوء العقبى ، من الناحية الدينية ، كما اتفق انها تختلف مع استاذها إلى بعض النقط ، يقول [ D'ohsson (١) دو هسون ] إنها انفصلت عن الجيباءى لسألت الصبيان :

سأل الاشعري استاذها هل براءة الصبيان تستلزم لهم الخلود

في النعيم فأجاب شيخ المعتزلة بالسلب معللاً ذلك بأنهم لم يحصلوا  
على اجر الاعمال فيخولهم الجنة .

فلاحظ الاشعري : وهل يعد جريمة في حقهم كون الله لم  
يترك لهم الوقت لذلك ؟

فأجاب الشيخ : بلا شك ، لاننا سبق في علمنا تعالى انهم  
لو كبروا لصاروا كافرين .

الاشعري : فعلى هذا ، كل من عاش [ وقد صدرت منه ذنوب  
طبعاً ] يمكنه ان يحتج على الله لاننا لم يمنه صغيراً .

لم يجد الجبأى لهذا جواباً ، فودع الاشعري .

هذا نقطة من نقط المناقشات المعروفة في علم الكلام .

\*

\* \*

لم يودع الاشعري البحوث المنطقية [ اى الكلام ] بالمرّة

رغم خروجه من مذهب المعتزلة ؛ وإنما نظمها وعداها وحصرها

في حدود تنفق والسنة ؛ نعم ، سيبقى ممثلاً للتوحيد المبني على

البحث العقلى بيد انه توحيد في دائرة السنة ؛ اما الغزالي فسيذهب

الى ابعاد من هذا في الرد على اصحاب الكلام ، وسيجعل في التوحيد

الاخلاق والماطفة حظاً كبيراً .

لقد ألف الأشعري كتباً عديدة انتقادية لم يحتفظ لنا ابن  
عساكر إلا بعناوينها؛ فيذكر منها أكثر من عشرين، أولها كتاب  
ضد الزنادقة والمارقين من الدين، كالفلاسفة والطبيعيين  
والهوليين والمجسمين، وفيه دحض لما عليه البراهمة واليهود  
والمسيحيون والزرادشتيون، وهو كتاب في ١٢ سفراً، وقد  
لخصه المؤلف، لكن وبالأسف، قد ضاع هذا الكتاب مع ماضع  
من منتوجات الأشعري، فلو لا ذلك لاستفدنا منه اليوم فائدة ثمينة.

\*

\* \*

لم يبق لنا من مصنفات هذا العالم إلا خمسة أو ستة كتب،  
[راجع هذا الموضوع عند المستشرق الألماني بروكلمان]،  
منها كتاب الإبانة، يتكلم فيه عن الله وإرادته وإثبات رؤيته  
وعن القرآن والإيمان، والقدر، والامامة؛ وهناك باب في إبانة  
قول أهل الزيغ والبدعة، وآخر في إبانة قول أهل الحق  
والسنة، ونعرف فكرة الأشعري من عشر صفحات كتبها عن  
الشهرستاني ومن نبذة لابن عساكر في نفس الموضوع، ونعثر  
هنا وهناك في كتب التوحيد (الفلسفي) على إشارات إلى  
الأشعري والأشعريين، كما عند التفتراني والسيد الجرجاني

بعد هذا يبسط (م كارا) عقائد الاشعري ، أرى انها معلومة ،  
خصوصا وان جل المغاربة أشعريون (عن طريق الوراثة  
في اغلب الحالات) ! ...

وتكميلا للفائدة أزيد هنا نظرة عن كتاب الابانة ، وأشير  
الى مؤلفين آخرين من مؤلفات الاشعري :

\*

\* \*

### الإبانة عن أصول الديانة :

طبع سنة ١٣٤٨ هـ ، عنيت بنشره ومراجعة أصوله والتعليق

عليه إدارة الطباعة المنيرية المصرية ، وهي طبعة متقنة  
وطبع قبل ذلك بمحيدر آباد سنة ١٣٢١ هـ .

ويقع في ٧٤ صفحة من الحجم المتوسط .

وهو مجموعة ردود يوجهها الأشعري ضد المعتزلة بالخصوص

ويتبع أحيانا طريقة في الحاجة لطيفة : يورد أسئلة ويحجب عنها  
فانظر مثلا عنوان باب من أبوابه :

(باب الكلام في الإرادة ، والرد على المعتزلة ، وإيراد

أسئلة والجواب عنها) .

وهذا من أحسن نماذج العناوين .

مقالات الاسلاميين:

ومن جملة كتب الاشعري التي سلمت من اغتصاب  
الايام (مقالات الاسلاميين).

كانت نسخة خطية منها بمكتبة أيا صوفيا، وطبع بتركيا  
منذ سنوات قليلة، يقع في سفيرين.

\*

\* \*

استحسان الخوض في الكلام:

رسالة صغيرة (١٢ صفحة من الحجم الصغير) طبعت  
بجيدر آباد سنة ١٣٢٣ هـ.



القسم

الثاني

العقائد

## عقائد النسفي

لم يكن للاسلام جماعات تحدد معتقداتها كما جامع الأساقفة عند المسيحية ، لكن الكثير من علماءها قد حللوا هذه المعتقدات في مصنفات قصيرة تسمى بالعقائد ( راجع مقالنا في هذا الموضوع بدائرة المعارف الاسلامية ) ، منها مصنف للاشعري ، وآخر للغزالي (١) وثالث لابن تومرت مهدي الموحدين ( انظر م كولدزيهر Goldziher : كتاب محمد بن تومرت - ١٩٠٣ - طبعة الجزائر ) ، وآخر لبعض الصوفيين كسيدي الجيلاني (١) ، بيد أن أشهر هذه المصنفات هي عقائد النسفي ، العالم الحنفي الذي عاش في القرن الثاني عشر ، ( وهناك نسفيان قد شرح أحدهما الآخر ، فالاول هو أبو حفص عمر النسفي المتوفى سنة ٥٣٧ ، راجع كتابنا - مفكر و الاسلام ج ٣ - في فصل الحديث ) ، وهذا التصنيف (أي عقائد النسفي) بمثابة ملخص للعقيدة الاسلامية ، فلا من

(١) : انظر الفصل الذي يلي .

هذه الناحية شبه ( بكريدو (١) الذي عندنا) على أنها أطول منه وأقل منه تنظيمًا ، وبها ٥٨ عقيدة ، وقد اشتهر كثيرا ، فهو ( كما يقول دو هسون D'ohsson ) بالمدارس العمومية الحكومية بتركيا بمثابة الكاتيشيسيم (١) عند المنصاري .

ترجم [ دو هسون ] هذا العقائد وأضاف إليها تعاليق تاريخية مفيدة ، وهذا التعاليق هي محتويات الجزء الاول من كتابه : مشهد الامبراطورية العثمانية [ نشر هذا المصنف وطبع بالشرق خصوصا باسطنبول عام ١٣١٣ مع شرح التفتزاني ] ، ونأتي هنا بجمل من هذا العقائد لتصور مقدار الصبغة الفلسفية التي في هذا المصنف الصغير .

يستهل النسفي بمقدمة يتكلم فيها عن العلم :  
« حقائق الاشياء ثابتة ، والعلم بها متحقق ، خلافاً للسوفسطائية ،  
وأسباب العلم للخلق ثلاثة :

١ [ الحواس السليمة .

٢ [ الخبر الصادق .

٣ [ العقل .

ثم يفسر النسفي هذا الامس الثلاثة للمعرفة :

(١) انظر الفصل الذي يلي .



(١) فالحواس السمع والبصر والشم والذوق واللمس .

(٢) والخبر الصادق على نوعين :

أ - الخبر المتواتر ، وهو الثابت على السنة قوم لا يتصور

تواطؤهم على الكذب ، وهو موجب العلم الضروري .

ب - خبر الرسول المؤيد بالمعجزة وهو يوجب العلم الاستدلالي

(٣) العقل سبب للعلم ايضاً ، وما ثبت منه بالبيدهة فهو

ضروري ، كالعلم بان كل الشيء أعظم من جزئه «

وبعد تقرير النسق لهذا الاسباب الثلاثة يرض القول بأن الالهام

من اسباب المعرفة مع كون الصوفيين يجعلونه الاساس الاوحد للمعرفة

وتبتدىء بعد هذا العقائد :

الاولى ان العالم حادث : « والعالم بجميع اجزائه محدث »

ثم يبنى على هذا عقيدتين يظهر انهما اقرب الى الفلاسفة منهما

الى علم الكلام ، وهما :

أ - ان العالم مركب من اعيان واعراض : « فالاعيان مالم

قيام بذاته ، والعرض مالا يقوم بذاته »

ب - مسألة (L'atomisme) اي تركيب المادة من ذرات

« الجوهر هو الجزء الذي لا يتجزء » .

وعلى هذا تكون النظرية القائلة بتركيب المادة من ذرات  
من قبيل المعتقدات (١).

والعقيدة الثانية تتعلق بالاله: «المحدث للعالم هو الله الواحد،  
القديم، الحى، القادر، العليم، السميع، البصير، المرید».  
هذه هي الصفات الايجابية.

ثم يسرد المؤلف الصفات السلبية:

« ليس بمصور، ولا محدود، ولا متبعض، ولا معدود، ... »

لا يشبهها شيء ... »

ثم يزيد بعض الصفات الايجابية - زيادة على ما تقدم،  
ويعيد اخرى تقدمت:

«العقل والقدرة والحياة والقوة والبصر والكلام، وهو

متكلم بكلام هو صفة له ازلية ليس من جنس الحروف

والاصوات، وهو صفة منافية للسكون (٢)»

(١) إن نظرية (الإطيميسم) Atomisme ليست من المعتقدات مباشرة

بل من مجرد البحث بالمنطق بالنسبة للتوحيد، فقواعد المنطق ليست  
هي نفس علم الكلام، كذلك هذه الفكرة هي حجة فلسفية تركز  
عليها بعض العقائد وليست من نفس العقائد.

(٢) قارن بين هذا وبين ما يقوله الغزالي في هذا الموضوع بالفصل الذي يلي.

اما العقيدة الثالثة فتخص بالقرآن :

« القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق » .

هذه العقائد الاولى هي المهمة ، وعليها يرتكز الإيمان ،

وليست العقائد الباقية الا تحليلا لها ، وموضوعها :

التكوين وإرادة الله ورؤيته : « ورؤيته تعالى جائزة

في العقل واجبة بالنقل » .

ثم تأتي عقائد تخص بالآخرة كعذاب القبر وسؤال منكر

ونكير والبعث وما يتعلق به ...

ثم يصل بنا النسفي الى مسألة مرتكب الكبائر - التي راينا

نظر المعتزلة فيها - فيقول :

« والكبيرة لا تخرج العبد المؤمن من الإيمان ولا تدخله

في الكفر ، واهل الكبائر لا يخلدون في النار » .

ونتقل بعد هذا الى الإيمان والاعمال والاسلام : « والإيمان

في الشرع هو التصديق بما جاء النبي عليه السلام به من عند الله

والاقرار به ، واما الاعمال فهي تتزايد في نفسها ، والإيمان لا

يزيد ولا ينقص ، والاسلام والإيمان واحد (١) .

(١) اما صريح القرآن فيخالف هذا التصريح : « قالت الاعراب

آمنا ، قل : لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » .

ويتبع هذا بالكلام على النبوة والخلافة والامامة .  
واما العقائد التي تاتي بعد العقيدة التاسعة والثلاثين ، فهي  
تتتابع بلاصلة تجمع بينها ، تتكلم عن موضوعات مختلفة ، ويمكن  
بعضها ان يكون تنمة لما تقدم ، نشير منها إلى صلاة الجنازة ، وان  
تكون على البر والفاجر ، والاعتقاد بالجنمة للعشرة المبشرين  
( العقيدة ٤١ ) ،

وان تصديق الكاهن بما يخبر عن الغيب كفر ( العقيدة ٥٢ )  
ثم يقول ان ما ذكر النبي من اشراط الساعة حتى ( العقيدة ٥٦ )  
وان المجتهد قد يخطئ وقد يصيب ( العقيدة ٥٧ ) .

كل هذا الفصل يدلنا على ان النسفي لم يستهن بالفلسف  
بالرغم عن كونه عاش بعد الغزالي الذي شن عليها الفارات ،  
انه لم يتوق استعمال العبارات العلمية ، مع انه كان يكتب للعامه .

وقد شرح غير واحد مصنفها ، واحسن هذا الشروح  
شرح التفهيم لآني ، وقد تكلمنا عنه في كتابنا عن الغزالي (١)  
فالناحية الفلسفية في هذا الشرح مستفيضة ، وهو نوع من  
الكلام المبني على القياس العقلي ، ونلاحظ هنا إذن ان هذا النوع

(١) كتاب المسيو كارا باللغة الفرنسية .

قد بقي مزدهراً بعد الغزالي ، فلا ثم الشرق ذوق حاد في البحوث  
الفكرية لا يمكن ان تشرح عنه .

إن تأليف النفثازاني دقيق جداً ومهم من حيث كثرة  
المحاجات الموجهة ضد المذاهب الغير السنية .

ولد العالم سعد الدين مسعود النفثازاني سنة ٧٢٢ بتفتازان [١]  
وكان مدرساً بسرخس [٢] ثم نقله تيمورلنك [٣] الى سمرقند [٤]  
فمات بها عام ٧٩١ هـ (١٧٩٧) وتم شرحه على العقائد النسفية  
سنة ٧٦٨ [١٣٦٧ م] بخوارزم .



- «١» تفتازان : قرية كبيرة من نواحي نيسى وراء الجبل  
«٢» سرخس : مدينة قديمة من نواحي خراسان ، كبيرة واسعة  
وهي بالقرب من نيسابور .  
«٣» انظر الكلام عنه في الفصل الذي بعد هذا .  
«٤» سمرقند : قيل إنها من بناء ذي القرنين «١» «انظر باقوت»  
وهي مدينة من مدن التركستان ، كانت مقر حكم الطاغية التتري تيمورلنك ،  
واشتهرت بمعاهدها العلمية الكبرى ، وتخرج منها كثير من علماء الاسلام ،  
وهي الآن نقطة تجارية ذات شأن بين الهند وآسيا الشرقية .

# تعاليق

## على هامش العقائد

(١) كتاب عقيدة أهل السنة:

يتولم كارا في الفصل المتقدم إن لأبي حامد الغزالي مصنفاً في العقائد دون أن يعطينا اسم هذا المؤلف ، ويظهر لي أنه يشير إلى مصنف اسمه ( عقائد أهل السنة ) ، وهو كتاب صغير جداً ، طبعته مطبعة النيل بمصر في سنة ١٣٢٣ هـ مشروحاً بقلم الشيخ محمد بن يوسف الشهير بالكافي تحت اسم : ( كتاب الحصن والجنة على عقيدة أهل السنة ) .

جاء في آخر صفحة من هذا الكتاب ص ١٦٢ تقریظ للشيخ التونسي محمد أبي شارب الهمالي ( من فقهاء جامع الزيتونة ) «... فإن أعظم العلوم... علم العقائد... وإن من أحسن «١» هذه الرسائل وضعاً وأعودها نفعاً ، الرسالة الموسومة بعقيدة أهل

---

«١» أنقله هنا لأنه يعطي صورة صغيرة عن هذا المصنف .

السنة المعزوة لحجة الإسلام والمسايين الاستاذ أبي حامد الغزالي،  
تلك الرسالة التي جمعت فأوعت، وعمت بنفعها وما خصت،  
سوى أنها ما كانت لتخلص من لفظ غريب يفتقر إلى إيضاح،  
ومعنى خفي يستدعى مزيد الإيضاح ...»

نقتطف من هذا الرسالة ما يقوله أبو حامد عن كلام الله  
( انظر الفصل المتقدم ص ٦٩ )، قال :

« .... وأنا تعالى متكلم ، أمر ، نالا ، واعد ، متوعد ، بكلام  
أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق ، فليس بصوت يحدث  
من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ، ولا بحرف ينقطع باطباق  
شفة أو جريك لسان ، وأن التوراة والانجيل والزبور كتبه  
المنزلة على رسله عليهم السلام ، وأن القرآن مقروء بالألسنة  
مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب ، وأنا مع ذلك قديم  
قائم بذات الله تعالى ، لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى  
القلوب والاوراق ، وأن موسى صلى الله عليه وسلم سمع كلام  
الله بغير صوت ولا حرف ...»

\*

\* \*

(٢) الجيلاني:

هو الهولى عبد القادر الجيلانى والجيلى (الجيلالى كما يسميه

المغاربة) توفى ببغداد سنة ٥٦١ هـ .

كان من شيوخ الصوفية وله أتباع كثيرون الى يومنا

( خصوصاً بشمال افريقيا )

وهو مؤلف ( الفتح الربانى والفيض الروحانى ) ، كتاب

في التوحيد على طريقة الصوفية ، وله كتاب آخر ( فتوح الغيب

\*

\* \*

٣ .. ( Credo كريدو )

كلمة لاتينية معناها (أعتقد) ، ويترجمونها ب (قانون الايمان

تطلق على كتاب صغير يضم المعتقدات المسيحية التي

تقرها الكنيسة ، وهانص هذا القانون :

«أؤمن بالله الأب القادر على كل شيء ، خالق السماء والارض

وبسيدنا عيسى المسيح ابنه الوحيد ربنا الذي حملت به

مريم العذراء من الروح القدس وتعذب في زمان (البنطى

بيلاطس) ، وصلبوه ومات ودفنوه ونزل الى الجحيم ، وفي اليوم

الثالث قام بين الموتى وصعد إلى السماء وجلس على يمين الله

الأب القادر على كل شيء ، ومن ثم ياتى ليحاسب الاحياء والاموات



أومن بالروح القدس .  
وبالكنيسة الكاتوليكية المقدسة .  
وبجماعة القديسين .  
وبمغفرة الذنوب .  
وبقيامت الأجداد .  
وبالحياة الدائمة . »

\*

\* \*

٤) اما (Catéchisme) كاتيشيسم) فهو يحتوي على تعاليم  
وامرار الديانة المسيحية الكاتوليكية ، باختصار ، وهي مبسطة  
على طريقة السؤال والجواب تسهيلا على العامة والصبيان .  
وهامثال من الدرس الاول ، عنوانه : الكتاب المقدس .  
سؤال : ماهى الحقائق التي يجب ان نومن بها ؟  
جواب : الحقائق التي يجب علينا ان نومن بها هو ما تقره  
الكنيسة مما اوحى الله الى الناس .  
س : اين توجد هذه الحقائق ؟  
ج : يحتوي عليها الكتاب المقدس والاقوال المروية  
عن الحواريين .

وبالكاتيشيسم) صور، منها صورة الإله وقد تجلى  
لموسى، واخرى تمثل آدم وحواء بالجنة عند وقوع قصة الشجرة،  
وصورة العذراء، وغير ذلك ....

والى جانب قسم المعتقدات (كريدو الذي رأينا) والتماليم،  
ياتى قسم خاص بالاخلاق التى يجب ان يتبعها كل مسيحي،  
وهي ستة عشر امراً، منها عشرة من عند الله وستة من  
مقررات رجال الكنيسة.

ثم هناك قسم ثالث في العبادات.

\*

\* \*

°) تركيب المادة من ذرات (Atomisme)

في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد كانت مسألت  
تركيب المادة والبحث عن عنصرها الاول تشغل أكثر من غيرها  
بحوث الفلاسفة باليونان:

قال أحدهم إن العنصر الاساسى فى المادة هو الماء.

وزعم ثانى أنه الهواء.

وادعى ثالث بأنه النار.

وقال فيثاغور Pythagore (فيلسوف وحيسوبى)

لابل الاعداد .

وبعد هؤلاء أتى ديموكرىت Démocrite (فيلسوف يونانى عاش فى القرن الخامس ق م) فقال بالذرات .

وكان من جراء هذا الاختلافات أن تأمس فى القرن الخامس ق م (مذهب الارتيابيين Le Scepticisme) القائلين إنهم لا توجد أية حقيقة ولا يمكن الوصول الى أية معرفة .

٦) تيمورلنك

عزف فى القرن الثامن للهجرة طاغية جبارا هو السلطان المغولى الشهير تيمورلنك، ويسمى بتيمور (او تيمورلنك اي تيمور الاعرج)

ولد بقريه قريبتا من سمرقند سنة ١٣٣٦ م ، ٧٣٧ هـ فى أسرة فقيرة (كان أبوا راعيا) .

خرج عام ٧٦٠ هـ وقضى أيام حكمه فى سلسلة حلقات حروب ضد أمراء خراسان وأفغانستان وروسيا ومصر .

غزا الشام واستولى على حلب سنة ١٤٠٠ م فخرج إليها ملك مصر فرج بن برقوق ليدافع عن دمشق ، واستصحب معه فى الجيش - كما سيفعل نابليون بونابارت فى واقعة الأهرام عند

حملته على بلاد الكنفانة - جماعة من العلماء والقضاة، وفي طبيعتهم  
المؤرخ المغربي عبد الرحمن بن خلدون الذي يقول عن الطاغية:  
«يخطيء أولئك الذين يقولون إن الرجل عالم جداً، فهو

رجل وافر الذكاء مولع بالمجادلة فيما يعلم وما لا يعلم» .

مات هذا القائد التتري العجيب في شعبان سنة ٨٠٧ هـ

(١٤٠٥ م) في طريقه نحو الصين ليحتلها، بعد أن عمر أكثر

من ثمانين سنة، وكانت مدة حكمه ٣٦ عاماً .

وينسب له بعض الكتاب من الافرنج رسائل في

السياسة والعسكرية.



# كتاب المواقف

من أهم الكتب التي تتصل بموضوعنا كتاب المواقف  
للإيجي الذي اشتهر في الشرق في حياة مؤلفه ، غير أنه ما يزال  
تربياً مجهولاً عندنا .

هو عضد الدين الإيجي من علماء الكلام بالقرن الثامن ،  
تات سنة ٧٥٦ هـ ( ١٣٥٥ م ) بعد أن نال صيته ببعيداً ، فقد  
شرحت كل مؤلفاته شروحاً وشروحاً ، ومن بين أسماء الشراح  
لمجد كثيراً من الاتراك .

طبع كتاب المواقف طبعة جيدة باسطامبول في سفرين  
من خمسين ( سنة ١٢٣٩ هـ )<sup>(١)</sup> والى جانب متن الإيجي ثلاثت  
شروح أهمها شرح السيد الشريف الجرجاني ، وهذا الشارح  
نفسه فيلسوف وعالم معروف جداً بالشرق ولد سنة ( ١٣٣٩ م )

---

(١) أي سنة ١٨٢٤ م ، كما طبع عام ١٨٤٨ الجزءان ٥ و ٦ مع شرح  
الجرجاني بليزنيق Leipzig بعناية ( Th. Sorensen سو إيرسي )  
بالقاهرة عام ١٣٢٩ هـ « ١٩٠٧ » .

٧٤٠ هـ وتعرف بواسطة التفتازاني بأحد الامراء من آل جعفر  
فعينه مدرساً بشيراز (١) ، ولما استولى تيمورلنك على هذا البلدة  
عام ٧٨٩ هـ نقله الى سمرقند . وبعد وفاة تيمور رجع الى شيراز  
فمات بها سنة ٨١٦ هـ .

وله كتاب في اصطلاحات علم الكلام وخصوصا في  
التعاريف الصوفية سماه ( كتاب التعريفات ) وهو مشهور قيم  
جداً ( طبع بالقاهرة عام ١٢٨٣ هـ وطبعه أيضاً Flugel سنة  
١٨٤٥ م بألمانيا ( بليزنيق Leipzig ) .

وقد كتب الجرجاني أيضاً مصنفاً في فلسفة التوحيد كما فعل  
عضد الدين .

وكتاب المواقف يبحث في علم الكلام ، يقول المؤلف  
في ( ج ١ ص ١١ ) بأن معاصريه لم يعتنوا بهذا العلم كما يجب ،  
فأخذ هو على نفسه أن يقوم بحجج ودليل يحطم أفكار الغزالي في تهديم  
علم الكلام والخط من قيمته ، حتى يصبح هذا العلم في المنزلة  
اللائقة به ، قال :

---

(١) شيراز : مدينة فارسية ، وأول من عمرها القائد العربي محمد  
بن القاسم الثقفي ، ثم بنى سورها وأحكم تحصينها في القرن الخامس .  
وينسب اليها عدة من مشاهير الفرس والعرب .

« ان أرفع العلوم وأعلاها وأنفعها وأجداها، وأحراها بعقد  
الهمة بها وإلقاء الشرائع عايتها، وإدآب النفس فيها وصرف  
الزمن إليها، علم الكلام المتكفل بإثبات الصانع وتوحيد لا وتنزيهه  
عن مشابهة الأجسام واتصافه بصفات الاجلال والإكرام، وإثبات  
النبوة التي هي أساس الإسلام وعليه مبني الشرائع والأحكام،  
وبه يترقى في الإيمان باليوم الآخر من درجة التقليد الى درجة  
الإيقان، وذلك هو السبب للهدى والنجاح، وأنه في زمننا هذا  
قد اتخذ ظهريا وصار طلبه عند الاكثرين شيئا فريا، لم يبق منه  
بين الناس الا قليل، ومطمح نظر من يشتغل بها على الندرة قال  
وقيل، فوجب علينا ان نرغب طلبية زمامنا في طلب التدقيق  
ونسلك بهم في ذلك العلم مسالك التحقيق، وإني قد طالعت  
ما وقع الى من الكتب المصنفة في هذا الفن، فلم أرفيها ما فيه شفاء  
لعليل أو رواء لغيليل .... »

ثم يستمرسل الإيحيى يتكلم عن مميزات كل مؤلف مما  
درس، ويقول إنه قد فكر طويلا في برنامج ما كان سيقوم به،  
وراجع مرارا ما كتب، فأصلحه وهدبه، موضحا ما غمض وما خصا  
ما أطنب، حتى أتى الكتاب على الشكل الذي أراد.

وفي الجملة فان أسلوب هذا المؤلف موجز شاق ، فضخامة  
الكتاب ، آتية من طول الشرح والحاثيتين ، وبرنامج متسع  
كثيراً ، فهو يضم مجموع الفلسفة والكلام ، وينقسم الى  
ستة مواقف مجزأة الى مرصد ، ويحتوي كل مرصد على مقاصد ،  
ويمكن ان يعتبر كل موقف كتاباً .

يستهل المؤلف بفاتحة عن العلم :

يتكلم اولاً عن مطاق العلم من علم حادث وكسبي  
وضروري ونظري ومعرفة الاسس الاولى ، ويحلل افكارا في  
الحق والباطل ، وهذا هو القسم المنطقي ،

والموقف الثاني :

عبارة عن نظرية مجملية في (ماوراء الطبيعة<sup>(١)</sup>) او الامور  
العامة كالوجود والعدم والمادة والواجب والجائز والوحدانية  
والكثرة والسبب والمسبب .

والموقف الثالث : يختص بالاعراض :

واما الموقف الرابع :

« ١ » أي ما لا يختص بقسم من أقسام الموجود التي هي الواجب  
والجوهر والعرض « كما جاء في النص العربي » .



فهو قسم متسع جداً يذهب من علم الطبيعة الى علم النفس،  
وقسم علم الطبيعة مهم جداً نجد فيه المسائل التي نجدها عند ابن  
سينا كتأبليمة المادة للتجزء، (١) والفضاء، والحركة وغير ذلك،  
كما نجد مقالات في الأفلاك السماوية وفي الأرض والجبال،  
وباختصار في مجموع العالم المادي.

ويأتي بعد ذلك علم النفس، إثر علم الطبيعة بدون ادنى  
فاصلة، فيتناول هذا القسم فكرة الارواح النباتية والحيوانية  
والإنسانية وخواصها، والذاكرة والمخيلة وغير ذلك. ويتكلم  
عن الارواح المنفصلة عن الاجساد وعن العقول.

وأما الموقفان اللذان يتبعان، فيتعلقان بالتوحيد:

الخامس: في الله وفي صفاته،

والسادس: فيما نزل به الوحي، فيبسط المؤلف هنا مسألت

النبوة والبعث واليوم الآخر.

ويختتم كتابها بديل عن المذاهب.

☆☆☆

إن لهذا الكتاب ميزة خصوصية، فعرض الأفكار موجز

والبحث مدقق، فالإيجي مؤلف ألمعي يحسن إحكام أعماله، لكن

«١» هذه نظرية أضحى اليوم مقطوعاً بها بفضل تقدم الآلات والكهرباء.

قيمتها الحقيقية في اتساع معلوماته ، فقد أجهد نفسه في التعمق أي  
في دراسة من سبقه من العلماء ، فهو ينقل كثيراً عنهم ويناقش  
أقوالهم ، وينقسم هؤلاء العلماء إلى ثلاثة أقسام :

أ) الحكماء ، ويكثر من ذكر ابن سينا على الخصوص .

ب) المعتزلة ، فيذكر الكثير منهم ، ويظهر أنه يعرف

معرفة جيدة كل آرائهم وما بين مذاهبهم من اختلاف .

ج) المتكلمون وهم أهل مذهبه .

ما أظن أنه نقل رأياً عن القدماء كإفلاطون وأرسطو ،

فقد درس فلاسفة أمته ، ولم يذكر إلا اسم أقليدس عند احتجاجه

ضد إمكان انقسام الأجرام إلى اللانهاية ( ج ٢ ص ٢١٥ )

\*

\* \*

ولنتصفح الآن القسم الخاص بالاعراض ، يقول الأبيحي :

« أما العرض عندنا (أي عند المتكلمين) فموجود قائم بتحيز ،

وأما عند المعتزلة فما لو وجد لتمام بالتحيز لانه ثابت في العدم

عندهم ، ويرد عليهم الفناء فيانه عرض عندهم ولا ينعكس على

أصل من أثبت عرضاً لافي محل كأي الهذيل للكلام ، وأما

عند الحكماء فما هيته إذا وجدت في الخارج كانت في موضوع

أي في محل مقوم (١) »

أقسام الاعراض :

« ... العرض عند المتكلمين إما أن يختص بالحى ، وهو الحياة وما يتبعها من الادراكات بالحواس وغيرها كالعلم والقدرة ، وإما أن لا يختص به وهو الاكوان ( المنحصرة في أنواع أربعة : الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ) ، والمحسوسات ( الأصوات والروائح والطعوم والحرارة وغير ذلك ) ، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الأكوان - بأنواعها الأربعة - محسوسة ، بيد أن الأغلبية لا يقولون بذلك ، لاننا لانشهد الا المتحرك والساكن والمجتمعين والمتفرقين ، ولانشهد الحركة والسكون والافتراق والاجتماع ، وكل محسوس من هذه المحسوسات يحتوي على اعراض غير متناهية مختلفة ) ، وقد ذهب الحكماء الى ان العرض منحصر في المقولات التسع ، (٢) ولم ياتوا في الحصر بما يصلح للاعتماد عليه ، وعمدتهم الاستقراء . »

ويزيد الايجي قائلاً بأن الفلاسفة يرون ان العرض إما ان

---

« ١ » ج ٥ ص ٦ : الموقف الثالث في الاعراض ، المرصد الاول في ابحاثه الكلية .

« ٢ » انظر تعليقا على ذلك في ، اخر الفصل .

يقبل لذاته القسمة كالكم ، وإما ان لا يقبل القسمة لذاته ومن يقبل  
هذا القسم الاخير الكيف وهو عرض لا يقبل القسمة لذاته  
اما السبعة الأخرى فتقبلها وهي : الأين والتمتى والوضع والمثلث  
والاضافة والفعل (التأثير) والانفعال ، وقد كانت هذه التقسيمات  
موضوع بحث ومناقشة ، ومن بين الذين ذكر اسمهم ان  
المحاجبة ابن سينا والامام الرازي ، ثم يقول الايجي بأن ابن سينا  
قد احتج على الحصر بما خلاصته :

ان العرض ينقسم الى كم وكيف ونسبة ، وان غير ذلك  
جوهر ، فحصر اقسام الموجود في هذه الاربعة .

لا يمكننا ان ننكر قيمة هذه الصفحات من كتاب الايجي

---

فهي بحق ملخص رائع يستحق ان يعد من منتخبات التساريخ

---

العام للفلسفة .

ثم يبحث الايجي بكيفية عويصته : هل الغرض ينتقل من

محل إلى محل ، واخيراً يسفر البحث عن نتيجة سامية ، فالعامة

يعتقدون ان رائحة التفاح تنتقل منه إلى ما يجاوره ، وان الحرارة

تنتقل من النار إلى ما يماسها ، لكن من على مذهبه من المتكلمين

يقولون إن الحاصل في المحل الثاني هو عرض (١) آخر :

إننا نشم رائحة أخرى ونحس بحرارة أخرى يحدثها الفاعل المختار، أي الله، أو تفيض من العقل الفعال لاستعداد يحصل له من المجاورة أو الإمامة، فكأن ذلك خلق جديد في المحل الثاني، أما الفلاسفة فيرون أن الأعراض في المحل الثاني تصدر عن العقل الفعال بداعيته ضرورة المجاورة أو الإمامة.

ويخالف الأبيجي الفلاسفة أيضاً في مسألة جواز قيام

العرض بالعرض، فقد قالوا إن السرعة والبطء عرضان قائمان بالحركة القائمة بالجسم، أما هو فيرى أن السرعة والبطء ليسا عرضين ثابتين للحركة، بل هما للسكنات المتخللت بين الحركات وقتها وكثرتها، فحاصل البطء أن الجسم يسكن سكنات كثيرة في زمان قطعه المسافة، وحاصل السرعة أنه يسكن سكنات قليلة بالقياس إلى سكنات البطء، ولا شك أنهما بهذين المعنيين من صفات الجسم المتحرك دون (٢) الحركة.

---

(١) ان الفيلسوف الكبير هنري بركشن H. Bergson يؤيد هذه النظرية (ازداد بباريز سنة ١٨٥٩).

(٢) انظر تعليقا على هذه الفكرة في آخر الفصل.

وأخيراً ينتقل الإيجي إلى البحث في فكرة الأشعري المتعلقة  
بتجدد الاعراض :

إن العرض لا يبقى زمانين ، فالاعراض جملتها غير باقية  
( عند الأشعرية ) بل هي على التقضى والتجدد ( ينقضى واحد  
منها ويتجدد آخر مثله ) وقد خصص الله كل واحد منها  
بزمان مخصوص .

ووافق على هذا الرأي النظام ، وقال الفلاسفة وجمهور  
المعتزلة ببقاء الاعراض مستثنين منها الأزمنة والحركات والاصوات  
أما الجبائي وابنه وأبو الهذيل فيذهبون إلى بقاء الألوان  
والطعوم والروائح دون العلوم والإرادات والاصوات وأنواع  
الكلام ، وللمعتزلة في بقاء الحركة والسكون خلاف .

\*

\* \*

إن الميل إلى الفلسفة ( اللاهوتية ) ودراسة هذا العلم  
المعقد المستدق بقيا في الإسلام إلى أيامنا ، وقد نموا نموا محسوسا  
عند الأتراك على الخصوص .

ونشير هنا إلى مصنف عن حرية (١) الإرادة وعلم الكلام

(١) Libre arbitre وترجمها بعضهم بمبدأ الاختيار .

وهو (مفتاح السعادة بقلم محمد زياد الدين أفندي، طبع بالمطبعة  
العثمانية باسطنبول ١٣٠٩ هـ) ألف هذا الكتاب أيام عبد الحميد،  
وهو دراسة لا تقل علماً وبحشاً ودقمة عن مصنفات التفتازاني  
والجرجاني والايحي.



# تعليقان

= على هامش كتاب المواقف =

(١) يقول الأبيجي إن المقولات تسع (١)، ويرى آخرون وهم  
كثيرون أنها عشر، ونظمها بعضهم في قولها:  
« عد المقولات في عشر سأنظمها

في بيت شعر علا في رتبة تعلا

فالجوهر، الكم، كيف، والمضاف، متى،

أين، ووضع، لها، إن ينفعل، فعلا،

ونظم أمثلتها آخر في قولها:

« زيد، الطويل، الأزرق، ابن مالك، ❊

في بيتها، بالأمس، كان متكى،

بيد سيف، لوالا، فالتوى ❊

فهذه عشر المقولات حوى

ويظهر أنهم يحملون المقولات تسعاً لأنهم يدخلون الانفعال



في الفعل ، فمثلا إذا قلت :

سخنت الماء فسخن

فهناك فعل وانفعال متلازمان ، وكذلك إذا قلت :

ضرب الاستاذ التلميذ (١) .

فمنهنا أنه حصل من الاستاذ ضرب (فعل) وانضراب على

التلميذ (أي انفعال) بل وربما عقب الانفعال تأثيره .

لكن لي على هذا ملاحظة :

يمكن ان يحصل الفعل من الفاعل ( الضرب من الاستاذ )

دون ان تصادف الضربة الهدف ، فيكون على هذا فعل بلا انفعال

( ولنفرق بين التأثير والانفعال ، فالاول يرجع إلى علم النفس

والثاني فيزيولوجي ، وهو الذي يعمد من المقولات ) .

ففي هذا الحالة انفصل الفعل عن الانفعال (الظاهري اعنى حصول

الضرب على التلميذ ، اما الانفعال الداخلي اي خوف التلميذ

وتأثره فلا يعمد حصوله ، بيد انه لا يهمننا لانه يرجع إلى

علم النفس ) .

---

« ١ » معنرة خالصة إلى إدارة العلوم والمعارف إذ ممنوع عن الاستاذ

ان يضرب التلاميذ

لأبي نصر الفارابي ، المعلم الثاني ، كلام في هذا الموضوع  
أقتطفه من رسالته تسمى : رسالته في مسائل فلسفية والاجوبة  
عنها ( مطبوعة ضمن رسائل اخرى له تحت اسم : مجموعة فلسفة  
أبي نصر الفارابي ، مطبعة السعادة ، مصر عام ١٣٢٥ هـ ) .  
السؤال ١٨ ص ٩٨ :

وسئل عن مقولتي يفعل وينفعل ، قال السائل إذا لم يمكن  
ان يوجد احدهما الا مع الآخر مثلا انه لا يمكننا ان نتصور يفعل  
الا مع ينفعل ، وايضاً لا نتصور ينفعل الا مع يفعل ، فهل هما من  
باب المضاف ام لا .. فقال لا لأنه ليس كل شيء يوجد الا مع  
شيء آخر فهما من باب المضاف لانا لا نجد التنفس الا مع الـ  
ولا النهار الا مع طلوع الشمس ، ولا العرض بالجملة الا مع الجوهر ،  
ولا الجوهر الا مع العرض ، ولا الكلام الا مع اللسان ، وليس شيء  
من ذلك من باب المضاف ، لكنها داخلة في باب اللزوم ، واللزوم  
منه ما يكون عرضياً ومنه ما يكون ذاتياً ، فالذاتي مثل وجود النهار  
مع طلوع الشمس ، والعرضي مثل مجيء عمر عند ذهاب زيد ، ومنه  
ايضاً ما هو تام اللزوم ومنه ما هو ناقص اللزوم ، والتام هو ان  
يوجد الشيء بوجود شيء آخر ، وذلك الشيء الآخر يوجد ايضاً

بوجود الشيء الاول حتى يتكافئاً في الوجود مثل الاب والابن  
والضعف والنصف والناقص ، واللزوم هو أن يوجد شيء ، بوجود  
شيء آخر ، وليس اذا وجد ذلك الشيء الآخر وجد الشيء الاول ،  
وذلك مثل الواحد والاثنين ، فانه ما وجد الاثنان الا وجد الواحد  
وليس اذا وجد الواحد وجد الاثنان لا محالة .

ثم انظر السؤال ١٩ ص ٩٨ - ٩٩ :

سئل عن هذين الجنسيتين ، أعني يفعل وينفعل ، هل هما  
يتكافئان في لزوم الوجود حتى اذا وجد أحدهما أيهما اتفق  
وجد الآخر .... فقال : لا ، لانا كثيراً ما نجد يفعل ولا يكون  
هناك انفعال وذلك حين لا يكون القابل منها قابلاً لقبول الفعل  
وأما متى وجد ينفعل فلا بد من أن يوجد يفعل .

فقال السائل : اذا كان معنى يفعل هو أن يؤثر ، ومعنى ينفعل  
هو أن يتأثر ، فلم لم يجعلهما الحكيم تحت مقولة ، لكنهما مما جعل  
جنسيتين عاليتين بسيطين؟ .. فقال ليس كل الاجناس العشرة بسيطة  
عند قياس بعضها ببعض ، وإنما هي بسيطة عند قياسها إلى ما  
دونها ، فأما البسيطة المحضة من هذه العشرة فهي أربعة : الجوهر ،  
والكم ، والكيف ، والوضع . فأما يفعل ، وينفعل فهما مما يحدثان

بين الجوهر والكيف، ومتى واين يحدثان بين الجوهر والكم،  
وله يحدث بين الجوهر والجوهر المطبق به بكلمة او ببعضها،  
والمضاف يحدث بين كل مقولتين من العشرة وبين كل نوعين  
من مقولتين من المقولات العشر، فهو لذلك داخل من جهة او  
جهات في المقولات، ولا يقول كذلك لانه حينئذ يظهر انه نوع من  
انواع بعضها، او كلها، بل يقول ان المضاف يوجد في جميع الاجناس.



( ٢ ) اني على راي الايجي في كون السرعة (١) والبطء من  
صفات المتحرك دون الحركة، لكن ألاحظ ان من نفس المثال  
الذي ضرب لنا نستنتج ان العرض يقوم بالعرض :

يثبت ان السرعة والبطء يتعلقان بالسكنات المتخللة بين  
الحركات وقتتها وكثرتها .

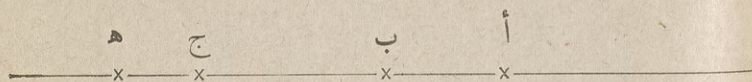
اذن فالكثرة والقلة والبطء والسرعة أعراض بالنسبة  
للحركات والسكنات .

ومن جهة اخرى فهاته الحركات وهاته السكنات أعراض  
بالنسبة للجسم، وذلك ان الحركات إيجاب والسكنات سلب  
تمثلها حالة ثالثة وهي حين يكون الجسم هامداً .

على أنها يمكننا أن نعتبر السكنات اجزاء تلتف فيما بينها  
 فيكون عنها السكون (حينما تصل الى آخر حد من الكبر) ، او تقل  
 كثيراً (إلى ان تصل إلى آخر حد من الصغر) فينشأ عنها  
 اللاسكون اي اكبر حر كته يمكن ان تصدر عن الجسم .

مثال ذلك :

هكذا ميارة تريد السفر من مكان يسمى (أ) إلى ، اخر  
 يسمى (هـ) ، ونعرف ان رقمها القياسي في السرعة هو ١٢٠ كيلو  
 متر في الساعة .



بين المحطتين (أ) و (ب) كانت تخطو ١٢٠ كيلو ميتر في  
 الساعة (هنا تقل السكنات حتى تصل إلى اكبر حد من القليلة  
 ممكن).

ثم أخذت السيارة تقطع المسافة بين (ب) و(ج) متسلقة  
 عقبية بثلاثين كيلوميتر في الساعة فحسب (وفي نيمة السائق ان  
 يقف بالمحطة ج ربع ساعة) ، فالسكنات طبعاً ستكثر حتى  
 تكون اكبر ما يكون من الكثرة ، حتى إذا وصلت السيارة إلى  
 المحطة (ج) ووقفت انعدمت السكنات .  
 ( انظر فيما بعد فصلا : اللانهاية ) .

القسم

الثالث

حجة الاسلام

ابو حامد الغزالي

# نظرة قصيرة

في حياته

ولد الإمام حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي  
بمدينة طوس (١) عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) وتعلم في صبالامبادلي  
الفقهاء، ثم رحل الى نيسابور (٢) حيث تابع دروس إمام الحرمين (٣)

(١) طوس مدينة بخراسان تشتمل على بلدين يقال لاحدهما طابرا  
(وهي التي دفن بها الغزالي) والاخرى نوقان. وبهما أكثر من ألف  
قربة. فتحت أيام عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وبهما قبر هارون الرشيد  
(٢) نيسابور: مدينة عظيمة فتحت أيام عثمان رضي الله عنهما  
في سنة ٣١ صلحا.

وفي نيسابور تلقى الغزالي عن إمام الحرمين الفقه والمنطق والاصول  
حتى برع أنداده وزملاؤه، وتولى في أخريات أيامه التدريس بالمدرسة  
النظامية في نيسابور مدة يسيرة رجع بعدها الى طوس.

(٣) هو عبد الملك بن عبد الله الجويني، ولد بنيسابور سنة ٤١٩ هـ  
كان إماماً مبرزاً في علم الكلام والاصول غزير الاطلاع في العلوم  
الاسلامية والعربية على العموم، وبعد بحق أكبر شخصية دينية في أيامه  
(انظر ج ٣ من طبقات الشافعية الكبرى مثلاً).



فبرع منذ الايام الاولى وامتاز على التلاميذ الآخرين .  
ثم ودع نيسابور وقصد قصر الوزير نظام الملك (١) فتقبله  
بقلب رحب ، وأنزله منزلة تلائم رتبته العلمية وبراعته في المناظرة ،  
وكان منزل هذا الوزير مجمعاً للعلماء ومحج الأئمة والمشاهير ،  
فوجد الغزالي في جوارحه فرصاً للمجادلة مع العلماء ، فطار صيته ،

(١) نظام الملك : ازداد سنة « ٤٠٨ هـ » وتوفي عام ٤٨٥ .  
هو الحسن بن علي الطوسي ، اصله من طوس ، قرأ العربية وسمع  
الكثير من الحديث ، ثم اتصل بالسلطان ألب أرسلان فاستوزره وبقى  
في هذا المنصب عشر سنين .

وبعد وفاة السلطان خلفه ابنه ملكشاه وبقى نظام الملك في الوزارة  
يمنع بساطته ككبيرة حتى قتل سنة ٤٨٥ هـ بعد أن قضى مع  
السلجقة في الوزارة تسعاً وعشرين سنة [ من ٤٥٦ الى ٤٨٥ ]  
ولقد بنى مدارس علمية كبيرة بنيسابور وبغداد واصبهان والبصرة  
والموصل ، ورفع من شأن العلماء « فهو بحق مبعين Mécène هذه  
الامة في عصره » . وتخرج من مدارسه كثير من العلماء والادباء .

واليه تنسب المدرسة النظامية الشهيرة التي بناها ببغداد سنة ٤٥٧ هـ  
وأوقف عليها ما يكفي لمدرسيها ولمنح الطلبة (Les Bourses) المستعملة  
اليوم ، ولنفقات مساكنها وحماتها .

وقد خصص م طالس Talas كتاباً عن المدرسة النظامية وتاريخها .

وانتشر ذكره ، ثم أرسله الوزير الى بغداد ليقوم (١) بالتدريس بالمدرسة النظامية ، فاستقبل هناك استقبالاً حسناً وأصبح فيها أستاذاً ومناظراً ، ثم صار إماماً ببغداد بعد أن كان إماماً بخراسان (٢) ثم انقلبت الأحوال ( وأصيب الغزالي بأزمة روحية يشير اليها في كتابه المنقذ من الضلال ) .

غادر أبو حامد بغداد وودع التشريعات ، وانكب على الزهد وتصنيف المؤلفات القيمة كإحياء علوم الدين .

ثم ذهب لمبيت المقدس لينغمر في حياة النسك ، وبعد أن تدرب وحصل على المقصود رجع الى مسقط رأسه حيث اشتغل

---

(١) يقال ان من تلامذته أبا بكر بن العربي ومحمد ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية الشهيرة . تلقى على ابي حامد المذهب الاشعري الذي صار بعد ذلك مذهباً رسمياً بالمغرب .

أما العلامة كولد زهير فثبت ان ابن تومرت لم يتصل بالغزالي « انظر مقدمته الالمانية [ الترجمة الفرنسية التي اعنتني بها م ديوموين ] لكتاب اعجب العجب « المطبوع في الجزائر » في عقائد ابن تومرت

(٢) وقد كان بالاسكندرية فأجمع العزم على زيارة المغرب ليقدم على يوسف ابن تاشفين المرابطى الامبراطور المغربى العظيم ، لكنه باغته نعى ملكنا الهمام فماد الى طوس وانقطع الى حياة الفكر والزهد .

وهذا يذكرنا بمرض الاستاذ الامام محمد عبده في طريقه الى المغرب ، فلم يسعد وطننا بزيارة هذين الامامين العظيمين .

بالتمرن على التقوى والزهد يقود النساك ويدعو الى الله متأهباً  
لدار الآخرة.

توفي يوم الاثنين ١٤ جمدي الاولى من سنة ٥٠٥ (١١١١م).

\*

قد ارتأيت تلخيص حياته لأن الذي يهمنا هي أفكار (م كارا)  
في الامام لاحياته التي توجد في مختلف الكتب قديماً وحديثاً.



## اسلوبه

للغزالي أسلوب جزل واضح سهل لين ، فلا يصعب فهم آرائه بسهولة طريقته في الكتابة ، إذ يستعين بصور مجازية ، بيد أننا لا نعقل في وقت ما الناحية العلمية ، ياخذ معه القاري ، ويذهب به بعيداً ، ولكنه لا يتعبه ، وفكره لا يفكر متزن يتخذ في كل شيء حداً ، فهو لا يكشر حتى يضجر القاري ، ويقسم الموضوع أقساماً ، ثم يجزي كل قسم إلى أجزاء في دقة وإتقان وفن وبدون أدنى تكلف ، ولم يكن يفرط في التدقيق لا في الفقه ولا في علم

النفوس ، وحتى في التصوف نفسه فإنها لم يتجاوز الحدود .  
ويمكننا أن نقارننا ببعض الآباء اليونانيين ، وبالأخص بالقدّيس ( جان كريزوستون ) ( ١ ) فهما يتفقان في سلامة

( ١ ) St. Jean Chrysostome : ( ٤٠٧ - ٣٤٧ م ) ازداد بأنطاكية

وكان ابا بكنيسة اسطنبول  
ولقد اشتهر ببراعة نادرة في البلاغة حتى لقب بالفم ( الذهبى ) وكان  
لاهجته الشديدة تأثير عميق على احوال البلاط والكنيسة ، فقوم سيرها ،  
ثم قضى آخر ايامه بالمنفى لانه كان ينتقد سيرة الامبراطورة ( اودوكسى )  
Eudoxie وقد ترك مواظ رائعة .

الأسلوب الجذاب والوضوح على أننا نلاحظ ان الغزالي اكثر

من صاحبه معرفة بالقواعد العلمية واقل منه اشتغالا بالحياة السياسية»

انتهى كلام (م. كارا).

وأرى من المفيد ان آتى هنا بفقرات من كلام الغزالي حتى

تسنى لنا ان نكون فكرة حية عن أسلوبه تؤيد بذلك ما قاله عنه (م. كارا).

يقول الغزالي عن آفات اللسان:

«.... ويدلك على فضل لزوم الصمت امر، وهو ان

الكلام أربعة أقسام:

(أ) قسم ضرر محض،

(ب) وقسم هو نفع محض،

(ج) وقسم فيه ضرر،

(د) وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة.

أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه، وكذلك

ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر.

وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول، والاشتغال به

تضييع زمان، وهو عين الخسران.

فلم يبق الا القسم الرابع ، وهذا الربع فيما خطر ، إذ  
بما فيها إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية الناس  
وفضول الكلام امتزاجاً يخفى دركها ، فيكون الإنسان به مخاطب  
(من إحياء علوم الدين) .

ويقول في مقدمة أحد كتبه ، فيصل التفرقة بين الإيها

والزندقة ويعرض بالمقلدين ويذم الحسدة : « رأيتك ايها الآ

المشفق ، والصديق المتعصب موغر الصدر منقسم الفكر بالآ

سمعك من طعن من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أمر

معاملات الدين ، وزعمهم ان فيها ما يخالف مذهب الأص

المتقدمين ، والمشايخ المتكلمين ، وأن العدول عن مذهب الأش

ولو في قيد شبر كفر ، ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وح

فهوّن ايها الآخ المشفق المتعصب على نفسك ، لا تضيق به صدر

واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً ، واستحقر

لا يحسد ولا يقذف ، واستصغر من بالكفر أو الضلال لا يبر

فأبي داع اكمل واعقل من سيد المرسلين صلى الله تعالى

وسلم وقد قالوا إنه مجنون من المجانين ؟ وأي كلام اجل وام

من كلام رب العالمين وقد قالوا انما اساطير الاولين ؟ واياك  
ان تشتغل بخصامهم وتطمع في افحامهم ، فتطمع في غير مطمع ،  
وتصوت في غير مسمع ، اما سمعت ما قيل :

« كل العداوة قد ترجى سلامتها ❁ الاعداء آمن عاداك عن حسد » ؟  
ولو كان فيها مطمع لاحد من الناس ، لما تلى على اجاهم  
رتباً ، ايات اليأس ، اما سمعت قوله تعالى « وان كان كبر عليك  
اعراضهم فيان استطعت ان تبغى نفقاً في الارض او سلباً في  
السماء فتاتيهم بايتنا ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، فلا تكونن  
من الجاهلين » .



# كتاب احياء علوم الدين

ان اشهر مؤلفات حجة الاسلام كتابه احياء علوم الدين (طبع  
بالقاهرة سنة ١٣١٢ بالمطبعة اليمنية في سفرين ضخمين). (١)  
ان هذا المصنف العالى الذي اخذ الغرب يتعرف به جيدا  
لاوضح تعبير في الاسلام واتمه لعلم اللاهوت الموافق للسنة  
فهو يعتمد على الوحي والنقل وعلى نفس عاطفة التقوى لاعلى  
قواعد علم الكلام ، وهو خطاب موجه لجميع المومنين .

ولقد احسن المؤلف تبويب الكتاب حيث قسمه الى اربعة  
اقسام يحتوى كل منها على عشرة كتب او مصنفات خاصة ،

---

(١) وطبع قبل ذلك طبعة حجرية بفاس في شعبان عام  
(١٣٠١ هـ) في ايام امير المومنين مولاي الحسن على نفقة الحكومة  
المغربية في ١٣ مجلدا كبيرا [مع شرح الشيخ سيدي محمد الزبيدي  
المشهور بالمرتضى] وهى طبعة راقية من حيث الخط والورق والتصحيح  
وبهذا العمل المبرور كف المولى الحسن عما فعل المغاربة قبل ذلك  
بكتب الغزالي....

وطبع بعد ذلك في عشر مجلدات ببولاق مصر سنة ١٨٩٣  
فيظهر من هذا ان للطبعة الاولى هى طبعة فاس . ووقف السلطان  
٣٠٠ نسخة منها على خزائنا القرويين بيد انه لم يبق اليوم الا ٨٠ نسخة [١٢]



سَمِ الْأَوَّلِ يَتَكَلَّمُ عَلَى الْعِبَادَاتِ الْمَهْمَةِ:

الْوُضوءُ، وَالغَسَلُ، وَالصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ، وَالصَّوْمُ، وَالْحَجُّ، وَتِلَاوَةُ  
بُرْهَانٍ وَتَفْسِيرُهُ، وَتَرْتِيبُ الْأَوْرَادِ فِي الْأَوْقَاتِ.

وَبِالْمَقْدِمَةِ مَقَالَتَانِ فِي الْعِلْمِ وَفِي أُسُسِ الْإِيمَانِ.

وَأَمَّا الرَّبِيعُ الثَّانِي فَمَوْضُوعُهُ الْعَادَاتُ مِنْ آدَابِ الْأَكْلِ،  
وَالزَّوْاجِ، وَالْمَعَامَلَاتِ التِّجَارِيَّةِ، وَالْأَسْفَارِ، كَمَا يَحْتَوِي أَيْضًا عَلَى  
بُحْثٍ فِي الصَّدَاقَةِ، وَالْأَخُوَّةِ، وَالْعِزْلَةِ، وَحَيَاةِ الْأَنْزَوَاءِ، وَفِي الْحَلَالِ  
الْحَرَامِ، وَفِي سَمَاعِ الْمَوْسِيقِيِّ.

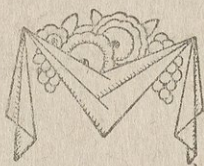
وَأَمَّا الرَّبِيعَانِ الْآخِرَانِ فَأَطْوَلُ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَيَخْتَصِمَانِ  
بِصُورٍ وَبِآدَابِ التَّصَوُّفِ، أَحَدُهُمَا يَبْحِثُ فِي النَّاحِيَةِ السَّلْبِيَّةِ  
هَذَا الْآدَابِ، وَالْآخَرُ فِي النَّاحِيَةِ الْإِيجَابِيَّةِ أَوْ فِي الْمَهْلَكَاتِ  
النَّجِيَّاتِ.

فَالنَّاحِيَةُ السَّلْبِيَّةُ تَدُورُ حَوْلَ تَهْذِيبِ الطَّبَاعِ، وَزَوَاجِرِ  
شَهَوَاتِ الذَّاتِيَّةِ، وَآفَاتِ اللِّسَانِ، وَآرَاءِ ضِدِّ الْغَضَبِ، وَالْحَقْدِ،  
الْحَسَدِ، وَحُبِّ الْمَالِ وَذَمِّ الْكِبَرِ، وَحُبِّ الْفَخْرِ وَالسَّمْعَةِ.

وَأَمَّا بَحْثُ الْقِسْمِ الرَّابِعِ فَتَحْمَلُ عُنَاوِينَ هِيَ أَسْمَاءُ الْحَالَاتِ

صوفية (١) كالنوبة، والصبر، والاعتراف، والامل، والفقر، والزهد  
والورع، والحب، والشهوة، والاتلاف، والقناعة، والفناء في ذات  
والاستسلام له .

ثم إن المواضيع الاخرى تتكلم عن الموت وتذكرها والبال  
واحوال الآخرة .



---

« ١ » أرى أن هذه أخلاق إنسانية على العموم وإسلامية على الخصوص  
فالآيات القرآنية والآحاديث النبوية المتعلقة بها تفوق الحصر ،  
للمسيو كارا الذي يراها حالات صوفية ، وإن الديانة المسيحية  
لتمتاز بنفس هذه الاخلاق .

# كتاب كيمياء السعادة

يظهر أنه لا توجد أي نسخة عربية لهذا الكتاب، ويكتفي  
هو الغزالي بذكر اسمه في لائحة مؤلفاته، فلم يعرفوا بسا  
نفاً كافياً، بل كل ما يقول بعضهم عنه انه مصنف الفقه حجة  
سلام باللغة الفارسية (١)

وجاء في كتاب (أبو حامد الغزالي) للاستاذ محمد رضا  
كيمياء السعادة والعلوم « كتاب كبير بالفارسية، يقال انه ترجم  
(أي الغزالي) كتاب الاحياء.... وهناك كتاب آخر صغير  
عربية سماه كذلك، وطبع هذا الكتاب بمصر، وطبع  
مدينة (لاكنو) و (بيومباي) والقسطنطينية » .

وقد عثرت على اسمه بالانجليزية، لكنها لا تحتوي على لفظة  
العلوم التي رأينا عند رضا . The Alchemy of Happiness  
كيمياء السعادة « ... (?) ...

ولم يزد صاحب المعجم المطبوعات العربية والمريية في

(١) انظر الفصل الذي بعد هذا

تعريف الكتاب على هذا العبارة « كيمياء السعادة رسالة ضمن  
مجموعته رقم ٩٤ » .

فأحسن دراسة لهو موضوع عثرت عليها هي التي يقدم لنا  
المسيو (كارادوفو) هنا وها تعريبها :

لقد ترجم الغزالي نفسه كتابه « إحياء علوم الدين » باختصار  
إلى اللغة الفارسية تحت عنوان : « كيمياء السعادة » ، والتبويب  
في هذا الترجمة كما في الاصل ، منظم متقن ، لكن الاسلويين مختلفان  
شيئاً ما ، فالانشاء في النسخة الفارسية اسهل منه في النص العربي  
لكن أقل تعمقاً من الناحية العلمية ، وفيه حذف الكثير من  
الاحاديث .

ولقد اشتهرت بالشرق هذا الترجمة ، فنقل عنها الاتراك  
نبذاً مختلفة ، فها فقرات من القسم الاول ( من نسخة خطية في  
ملكنا ) ولنلاحظ بأي بساطة يستطيع الغزالي أن يعرض علينا  
أفكاراً فلسفية ( من مقدمة كيمياء السعادة ) يريد الامام أن يفسر  
تلك العقيدة المعروفة كثيراً في التصوف الاسلامي ، والتي تذكر  
بالجملة اليونانية : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » والمقدمة  
سهلة سامية ، وأول الكتاب في صفات المسلمين ، وهي أربع

صفات ، أولها معرفة الانسان نفسه، وهذا المعرفة هي مفتاح معرفة الله تعالى، ولهذا قيل : من يعرف نفسه فقد عرف ربه (١) ، وجاء في القرآن : «سريهم اياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم انها الحق» (٢) . ففي الغالب لا شيء أقرب إليك منك ، فإذا كنت لا تعرف نفسك بنفسك فكيف يمكنك أن تعرف شيئاً اخر غيرك ؟ فإن قلت : إني اعرفني معرفة كافية ، كنت في الضلالة ومثل هذا المعرفة ليست هي مفتاح معرفة الاله (قارن بين هذا وبين اعترافات انقديس اكيستان (٣) ، الفصل الخامس من الباب

---

(١) « من عرف نفسه فقد عرف ربه » قيل إنه حديث ، وللسيوطي بصل عنوانه : القول الاشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه ، يوجد بالحجز الثاني ص ٤٠١ من كتابه الحاوي للفتاوي . ويستنتج من كلام السيوطي ان هذا الحديث موضوع ، والنووي في فتاويه يقول إنه ليس بثابت .

(٢) قد وقع للمؤلف غلط في هذه الآية الشريفة في النص الفرنسي فأوردتها هنا وفق ما في المصحف [ الحزب ٤٩ صورة حم ، الآية ٥٣ ]  
(٣) St Augustin اصله تونسي [ ٤٣٠ - ٣٥٤ م ] كان ابا بكنيسمة باجة بافريقية الرومانية ، قضى شبابه في اللهو واللعب ، ثم جذبت به حياة الزهد والتشبه بالدين فانكب عليها حتى اضحى اشهر ابا الكنيسمة اللاتينية .

وله مؤلفات منها اعترافاته ، وهي تاريخ بليغ لشبابه المملوء بالطيش والاختاء .

الخامس).

إنك كالحَيوان لا تعرف عن نفسك في الظاهر إلا الرأس  
والوجه والرجلين والظهر والاذنين ، وفي ما عدا هذا فإنك لا  
تعرف عنك شيئاً ، وتعرف في الباطن مقدار ما عرفت في الخارج :  
إذا جمت أكالت الخبز ، وإذا غضبت تألبت على إنسان ، وإذا  
انتصرت عليك الفريزة الشهوانية ارتيمت على الاتصال الجسدي ؛  
وكل الحيوانات تفعل مثل هذا ، فيلزمك إذن أن تبحث عن  
كنهك حتى تصل إلى معرفة من أنت ، ومن أين أتيت ، وإلى  
أين تذهب ، وماذا أتيت إلى هذا المكان ، وما الغاية من إيجادك  
وما سمادتك ، وما شقاوتك ، وفي أي شيء يوجدان ، ثم إن  
البعض من هذه الأجهزة المجتمعة فيك توجد في الأنعام ،  
والبعض في الحيوانات الضارية ، وأخرى عند الأبالسة ، وأخرى  
عند الملائكة ، فأين هي خصوصياتك من بينها؟ أين هي التي  
تدخل في مادة جوهرك وما هو الذي منها أجنبي عنها أو مستعار؟  
فإذا كنت لا تعرف هذا فإنك عاجز عن البحث عن هنائك .

وفي محل آخر من هذا الكتاب ( الترجمة التركية للجزء

الأول سنة ١٢٩٣ هـ ، الصفحة ٥٦ ) يحاول الغزالي أن يشرح

كيف أن فهم الأشياء يختلف باختلاف الحالات النفسية، وكيف كان الفرق كبيراً بين معرفة الإنسان ومعرفة الله؛ ويضرب الأمثال، قال: إن مثل هؤلاء الاشقياء من المنجمين والاطباء الذين لا يعرفون الإله وإنما يعتمدون على النجوم والاشياء الطبيعية، كمثل النملة التي رأت القلم يمشى فوق الورق فظنت أن الكتابة منشؤها القلم، ففي هذه الدرجة المنحطة يوجد العالم الطبيعي الذي يعزو كل شيء الى الحرارة والبرودة، وإلى الماء والارض، أما النملة الاخرى التي تفحص الاشياء بامعان، فتتحقق بأن حركة القلم لا تأتي من نفس القلم، وتفرض أن القلم يمشى بإرادة الاصبع وتقول الاولى: «إنك تظنين أن الحروف تصدر عن القلم، والحقيقة ليست كذلك، إنها تأتي من الأصبع، لأن القلم تحت سيطرة الاصبع (١)» .

فهذه هي درجة المنجمين الذين ينسبون سير الاشياء الى سير النجوم، فهم لا يعرفون أنهم في الضلال، إذ الملائكة هم المشرفون على سير النجوم، ثم ان الملائكة أنفسهم لا يتحركون الا بإذن الله .

---

«١» يوجد مثال النملتين بكتاب الاربعين، وهو من مؤلفات

إن الطبيعي الذي ينسب إدارة الكائنات إلى الطبيعة يقول  
حقاً من بعض الوجوه ، فاولاً علم الطبيعيات لما كان عام الطب  
ولما سمح (القانون) الشرع للطباء بأن يعالجوا الامراض ،  
لكنه من ناحية أخرى ضال ، فهو يمشى كحمار أعرج لا يعرف  
ان الطبيعة تحت تصرف الإله ، فيتختم عليها ان يقف بالباب  
كأخس العبيد ، في المكان الذي تخلع فيه النعال .

وأما المنجم فهو من جهة يرى ان الشمس كوكب يعطى  
للعالم الحرارة والضياء ، فلولا الشمس لما كان ليل ولما كان نهار ،  
ولما نمت الحبوب والنباتات ، ولولا القمر لما بقى معنى لتحديد  
أوقات الصلاة والصيام والزكاة والحج ، لأنها لا يمكننا التفرقة  
بين الأسابيع والشهور والاعوام .

والقمر هو الذي يكسب الزهور والثمار مالها من عطر  
والوان خلاصة ، فالشمس حارة وجافة ، والقمر بارد وندي ،  
وأما زحل فبارد جاف ، والزهرة جافة ندية ، ففي كل هذا يمكن  
المنجمين أن يكونوا على حق ، لكنهم يخطئون حينما يدخلون  
كل شيء تحت هذه الظاهرات الكونية المسماة ، دون ان يتفطنوا  
إلى أنها في قصارى الامر تدخل تحت تصرف الإله ، كما تؤيد



ذلك الآية: « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره (١) ». ثم يورد الغزالي مثلاً معروفاً يوجد بقصيدة جلال الدين الرومي الشهيرة:

دخل فيل بلدة عميان فاجتمع السكان حولها، هذا عيس  
رجله، وذاك الخرطوم، وثالث الاذنين، فسألهم أحد: ما الفيل؟  
فأجاب الأول: إنه يشبه ساريتا، وادعى آخر: إنها نوع من  
الائوية، وهكذا صار كل يمثله على حسب العضو الذي لمس،  
والحقيقة أن كل واحد من العمى قد صدق فيما مثل به بالنسبة  
لعضو من الاعضاء، ولكنه يخطئ، إذا أثبت أن كل الفيل كما  
زعم، وهكذا لكل من المنجم والطبيب والدهري الحق ان يقول:  
إن هذا يؤثر في قيادة الاشياء، لكنه يكذب إذا ادعى ان مجموع  
الاشياء يخضع لذلك.

ثم يأتي الغزالي بمثال آخر، فيشبه العالم بقصر (ونلاحظ هنا

---

«١» زعم كارا ان هذه الآية حديث [الآية ٤٤ سورة الاعراف  
الحزب ١٦] فهناك حديث شريف له علاقة بهذا المعنى وربما كان ذلك  
سبب الالتباس الذي حصل للمسيو كارا:

قال صلعم «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت  
أحد ولا لحياته» البخاري ومسلم وغيرها

ان هذه الطريقة واضحة جداً يفهمها العامة) : بنى ملك قصره ،  
وبالقرب من البيت الخاص به كان اخر خاصا بالوزير ، ويحيط  
بهذا البيت صحن وبناء يحتوي على اثني عشر بيتا في بروج ، وفي  
كل بيت نائب للوزير ينقل او امره للخارج ، وبياب كل برج  
يقيم سبعة من رؤساء الخيالة ، واربعه من قواد الجنود الرجالة  
بأيديهم مقاود ، ومهمتهم ان ينفذوا احكام ( الباديشاه ) ( ١ )  
ويصفدون كل من تامر جلالته بتكبيله ، فهذا السلطان هو الإله  
طبعا ، واما الوزير الذي في البيت المجاور فيقوم بدور العقل  
الفعال او الملائكة المقربين الذين جعل الله بين ايديهم تسيير  
العالم ، واما المساحة التي تحيط بمكان الوزير فهي السماء حيث  
توجد أبراج الأفلاك الاثني عشر ، ورؤساء الخيالة السبعة  
هي الكواكب السيارة السبعة التي تقوم صباح مساء ببياب البروج ،  
وأما ضباط المشاة الأربعة فيمثلون المواد الاربع : الماء والتراب  
والنار والهواء ، والمقاود التي بأيديهم هي الحرارة والبرودة  
والرطوبة واليبوسة . . . . والخلاصة ان العلال الثانوية التي يسند  
اليها الطبيعيون والأطباء والمنجمون أقوالهم كلها حقيقة ، بيد

« ١ » كلمة تركية وهي لقب سلطان الترك

أن العلة الأولى الخالدة هي وجوب الوصول في النهاية إلى الله ...»

\*

\* \*

إلى أي حد يتفق كتاب كيمياء السعادة وكتاب إحياء علوم الدين؟ هذا سؤال لا نستطيع أن نجيب عنه مادام كتاب كيمياء السعادة غير موجود لدينا، ثم إن الصفحتين أو الثلاث التي أتى بها هنا (م كارا) لا تكفي للمقارنة.



على هامش

## كتاب كيمياء السعادة

بعد أن نشر الفصل المتقدم في مجلة «الثقافة المغربية»، عثرت على مصنف مطبوع باسم كيمياء السعادة، فارتأيت أن أتى بالفصل كما نشر من قبل دون تغيير، وأن أتبعه هنا بهذا الفصل تكميلاً للفائدة (١).  
بين يدينا الآن مصنف صغير طبعته مطبعة السعادة بمصر باعته السيد محيي الدين صبري الكردي، يشتمل على كيمياء السعادة وعلى الرسالة اللدنية، والرسالتان معا لأبي حامد الغزالي.  
يقول الناشر في آخره:

«.... إن حصولي لهذا (٢) الكتاب لم يكن أمراً سهلاً، فقد بذلت الجهود في نسخه من إحدى كتب خانات الاستانة. والمصنف من الحجم الصغير (٥٠ صفحة: ٢٠ في كيمياء السعادة، والباقي في الرسالة اللدنية)»

---

(١) ويرجع الفضل إلى الأخ الأديب سيدي محمد بن عبد الرحمن السعداني فهو الذي أرشدني إلى وجود هذه النسخة وحصل لي عليها، فله شكري.  
(٢) انقل ما في النسخة دون تغيير

وانتصفح هذا النسخة .

يستهل حجة الإسلام بمقدمة عادية في إيضاح معنى  
كيمياء ، منها ، (ص ٣) :

« اعلم ان الكيمياء الظاهرية لا تكون في خزائن العوام  
وإنما تكون في خزائن الملوك ، فكذلك كيمياء السعادة لا تكون  
إلا في خزائن الله سبحانه وتعالى ، ففي السماء جواهر الملائكة ،  
وفي الارض قلوب الاولياء العارفين ، فكل من طلب هذا من  
غير حضرة النبوة قد أخطأ الطريق ، ويكون عمله كالدينار البهرج  
فيظن في نفسه أنه غني وهو مفلس في القيامة كما قال سبحانه  
وتعالى : « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » .

بعد ذلك يأتي فصل عنوانه : ( معرفة النفس ) يتفق كثيرا  
وما وجدنا عند م كارا ، أنقلنا لتتابع المقارنات ونصل إلى نتيجة  
نقتنع بها ، (ص ٤) :

« اعلم أن مفتاح معرفة الله تعالى هو معرفة النفس كما قال  
سبحانه وتعالى : « من ربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين  
لهم أنه الحق » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من عرف  
نفسه فقد عرف ربه » وليس شيء اقرب إليك من نفسك ، فإذا

لم تعرف نفسك فكيف تعرف ربك؟ فإن قلت إنى أعرف نفسى،  
فإنما تعرف الجسم الظاهر الذي هو اليد والرجل والرأس  
والجثة، ولا تعرفه في باطنك من الامر الذي به إذا غضبت  
طلبت الخصومة، وإذا اشتهيت طلبت النكاح، وإذا جمعت  
طلبت الاكل، وإذا عطشت طلبت الشرب، والدواب تشاركك  
في هذه الامور، فالواجب عليك ان تعرف نفسك بالحقيقة حتى  
تدرى اى شىء انت، ومن اين جئت الى هذا المكان، ولاي شىء  
خلقت، وبأى شىء سعادتك وبأى شىء شقاؤك، وقد جمعت  
في باطنك صفات منها صفات الملائكة، فالروح حقيقة جوهر ك  
وغيرها غريب منك وعاريتا عندك، فالواجب أن تعرف هذا  
وتعرف ان لكل واحد من هؤلاء غداء وسعادة، فإن سعادة  
البهائم في الاكل والشرب والنوم والنكاح، فإن كنت منهم  
فاجتهد في اعمال الجوف والفرج، وسعادة السباع في الضرب  
والقتك، وسعادة الشياطين في المكر والشر والحيل، فإن كنت  
منهم فاشتغل باشتغالهم، وسعادة الملائكة في مشاهدة جمال  
الحضرة الربوبية، وليس للغضب والشهوة اليهم طريق. فإن  
كنت من جوهر الملائكة فاجتهد في معرفة اصلك حتى تعرف

الطريق الى الحضرة الالهية وتبلغ الى مشاهدة الجلال والجمال،  
وتخلص نفسك من قيد الشهوة والغضب، وتعلم ان هذه الصفات  
لاى شىء ركبت فيك، فما خلقها الله تعالى لتكون اميرها ولكن  
خلقها حتى تكون اسراك وتسخرها للسفر الذى قدامك،  
وتجعل احداها مركبك والاخرى سلاحك حتى تصيد بها  
سعادتك، وذلك المكان قرار خواص الحضرة الالهية، وقرار  
العوام درجات الجنة، فحتاج الى معرفة هذا المعانى حتى  
تعرف من نفسك شيئاً قليلاً، فكل من لم يعرف هذا المعانى  
فنصيبه من القشور، لان الحق يكون عنه محجوباً .

ثم ياتي فصل بلا عنوان مضمناه أن المرء مركب من جسم وروح .  
ويفسر في الفصول الثلاثة التى تلى، معنى النفس أو القلب الذى  
يعرفه ( بعين الباطن . ) ، وباختصار فإن الفصول الخمسة ( التى  
تلى فصل تفسير كيمياء ) كلها فى معنى الروح وحقيقتها، وفي  
النزعات النفسية وتقسيم النفس، وان الانسان مركب من قالب  
وروح، منها واحد فى معرفة القلب وعسكره، وهو فصل صغير  
وظريف انقله هنا :

« اعلم اننا قليل فى المثل ان النفس كالمدينة، واليدين

والقدمين وجميع الأعضاء ضياعها، والقوة الشهوانية واليها،  
والقوة الغضبية شحنتها، والقلب ملكها، والعقل وزيرها،  
والملك يديرها حتى تستقر مملكته واحوالها، لأن الوالى  
وهو الشهوة كذاب فضولى مخلط، وهو الغضب شرير قتال  
خراب، فان تركهم الملك على ما هم عليه هلكت المدينة وخربت،  
يجب ان يشاور الملك الوزير ويجعل الوالى والشحنة تحت يد  
الوزير، فإذا فعل ذلك استقرت احوال المملكة وتعمرت  
المدينة، وكذلك القلب يشاور العقل ويجعل الشهوة والغضب  
تحت حكمه حتى تستقر احوال النفس ويتصل الى سبب السعادة  
من معرفة الحضرة الإلهية، ولو جعل القلب تحت يد الغضب  
والشهوة هلكت نفسه وكان قلبه شقيا فى الآخرة . (ص ٩).  
ثم بعد هذا نجد ثلاثة فصول حول الاخلاق، وأربعة  
فى عجائب القلب، و آخر فى الفطرة الانسانية .

فلنقف قليلا فى فصل : ان الشهوة والغضب خادمان للنفس،  
جاذبان يحفظان أمر الطعام والشراب لئلا يهلك الحواس .  
ومما يرد فى هذا الفصل :

« وقوة الخيال فى مقدم الدماغ كالنقيب يجمع عندنا

---



أخبار الجواسيس .

وقوة الحفظ في مقدم الدماغ مثل صاحب الخريطة يجمع  
الرقاع من يد النقيب ويحفظها الى أن يعرضها على العقل .

أين مقر المخيلة (قوة الخيال أو ملكة الخيال) ؟

وأين مقر الحافظة (قوة الحفظ أو ملكة الحفظ) ؟

هذان سؤالان من أمثلة ما يهتم بها العلماء منذ (Alcméon

ألكميون) اليوناني الذي كان طبيباً وفيلسوفاً في القرن الخامس

قبل الميلاد، و(أبقراط Hippocrate هيبوكراط) أشهر أطباء

التاريخ القديم (ازداد باليونان سنة ٤٦٠ قبل الميلاد)، فمنذ

عصر هذين الرجلين الى يومنا حيث العلم الحديث ما يزال يعنى

بهذا الدراسة أيما اعتناء (انظر العدد الاول سنة ١٩٣٦ من مجلة أكبر

الحوادث الطبية Les grands évènements médicaux)

فهو عدد خاص بتاريخ دراسات المراكز التي في الدماغ .

كانت الفلاسفة القديمة تجعل مقر العقل والملكات المختلفة

في القلب (وكان على هذا الرأي كثير من مفكري الاسلام) .

ويرى أرسطو أن في القلب مركز الذاكرة وإدراك

المحسوسات؛ وجعل آخرون الروح في الدم؛ وادعى ديكرت

Descartes أن الروح متصلة بجميع الجسد ، بيد انها توجهها  
تأثيرها بالخصوص على الغدة الصنوبرية (١) .

وزعم (فلورانس Flourens العالم الفرنسي ١٨٦٧ - ١٧٩٤)  
أن الدماغ قطعت لا تنجزاً : إذا تأملت تأملت بمجموع الدماغ ،  
وتحس وتتخيل كذلك بالدماغ كلها .

اما (كول Gall الألماني ١٨٠٨) فلا يقول بنظرية  
(وحدة الدماغ) بل يرى علاقة ونسبة بين العميات الفكرية  
وتقل ما بداخل الدماغ (المخ والمخيخ ...) ، ويقول بوجود  
مراكز مختلفة ، وأن هيئة الجمجمة هي الصورة الظاهرة للدماغ ،  
بحيث يمكننا أن نحكم على طبع وعريكتنا المرء واستعداداته بمجرد  
فحص الصورة الخارجية للجمجمة (١) .

على أنها لا يعمل اليوم بنظرية فلورانس ولا بنظرية كول  
هذا بعض المراحل التي مرت بها مسألة دراسة الملكات  
الفكرية ، وبعض المحطات المهمة التي وقف بها الباحثون في

---

(١) لوزة في وسط الرأس La glande pinéale

(٢) هذا ما يسمى بـ : Phrénologie أو Cranioscopie اختار للاصطلاح  
عليه لفظة الرأسولوجية ( فالدماغلوجية أقرب ولكنها أثقل ) .

تجو الهم بالدماغ.

وقد كتبت أبحاث أصحاب علم النفس، بالتعاون مع  
الاختصاصيين في هذه الناحية من الأطباء، الى نتائج ما تتم، مستعينين  
بآلات خصوصية في معامل خاصة (١).

ومن الذين درسوا مسألة الحافظة في عصرنا وبحثوا عن مقرها  
(مودسلي Maudsley) و(واند Wundt) و(ريبو Ribot)  
القائلين بأن صيانة الأشياء المرئية أو المسموعة الخ... وحفظها  
يكون في نفس مراكز الإحساس بها، أو في نفس مراكز إدراكها،  
ويرى (بان Bain) ما يقارب نظريتهم.

أما الدكتور (سولبي Sollier) في كتابه (مشكلة الذاكرة  
Problème de la mémoire) فيجعل الحافظة في المراكز  
التي في مقدم الدماغ.

فلنتقارن بين هذين النظريتين وبين ما صرح به أبو حامد  
منذ ما يناهز تسعة قرون!

(١) وأول معمل هذه التجارب النفسية أسسه (واند Wundt) سنة  
١٨٧٩ بـ (ليبيك Leipzig)، ويعد هذا التأسيس خطوة خالدة  
في تاريخ علم النفس.

وفيما يخص مقر المخيلة فإن (فلسيخ Flehsig) يراه  
في نواحي الجمين ومقدم الدماغ (وعبارة الغزالي باللفظ هي  
« وقوة الخيال في مقدمة الدماغ »).

وأما الأستاذ (بلاير Paulin Malaper) في كتابه  
(دروس الفلسفة ص ٢٥٢ من ج ١) فلا يجزم إلا بشيء واحد  
هو أن مصدر الخيال من الدماغ.

ونجد كذلك عند المعلم الثاني محمد بن محمد الفارابي في كتابه  
فصوص الحكم (مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٥) محاولة من  
هذا القبيل، ص ١٥٢ :

« (فص) إن وراء المشاعر الظاهرة شركاً وحبائل الاصطياح  
ما يقنصه الحس من الصور، ومن ذلك قوة تسمى مصورة وقد

رتبت في مقدم الدماغ، وهي التي تستثبت صور المحسوسات

بعد زوالها عن مسامحة الحواس أو ملاقاتها، فتزول عن الحس

ويبقى فيها قوة تسمى وهما، وهي التي تدرك من المحسوس

ماليحس، مثل القوة التي في الشاة إذا تشبَّح صورة الذئب في حامة

الشاة تشبَّحت عداوتها ورداءتها، فيها، إذ كانت الحاسة لا تدرك

ذلك، وقوة تسمى حافظه وهي خزائنه ما يدركها الوهم، كما أن

القوة المصورة خزانة ما يدركه الحس ، وقوة تسمى مفكرة وهي التي تتسلط على الودائع في خزانتى المصورة والحافظة فيخلط بعضها ببعض ويفصل بعضها عن بعض ، وإنما تسمى مفكرة إذا استعملها روح الإنسان والعقل ، فإن استعملها الوهم سميت متخيلة وجاء في كتاب العمران البشري لعبد الرحمن بن خلدون فصل كذلك في (قوى النفس ومراكزها من الدماغ) (١) .

فها نحن نرى أن البعض من مفكري الإسلام قد اهتموا منذ قرون بما تشغل به اليوم البحوث والتجارب العلمية بأوروبا والعالم الجديد ، والله وحده يعلم متى سنصل الى نتائج تامّة في هذا الميدان الغامض ، يقول هيجو : «تضارب زوابع تحت كل دماغ .» ويقول شكسبير Shakespeare في روايته «هاميليط Hamelet» : «انه ليكبر على فلسفتنا ان تدرك ما في الدماغ» .

إن اكبر السياحات ( او الدراسات ) في بعض مناطق الدماغ البشري التي وصلت الى نتائج يطمئن لها العالم ، وقعت في القرن التاسع عشر (١) لكنها - الى اليوم - لم تزد على تقرير ان المركز (١) وعند الايجي في كتاب المواقف ( انظر الاشارة الى ذلك بهذا الكتاب ص ٨٣ ) .

(٢) كما وصل الباحثون الى معرفة كثير من الامراض الفكريّة

الحقيق للعقل والملكات المختلفة في الدماغ وفي الجهاز العصبي .  
من ذلك الحين اتجهت انظار بعض العلماء الى اكتشاف ما في  
هذا (المقر) ، فرصل ( هانس برجي الالماني Hans Berger )  
الى أن بالدماغ موجات كهربائية [ هذا آخر اكتشاف بالدماغ ،  
سنة ١٩٢٩ ] ، وظهر في السنوات الاخيرة كتاب فرنسي في  
هذا الموضوع عنوانه : « التموجات الدماغية وعلم النفس .  
Jean Delay » وهو كتاب قيم .

وكل ما بقى الآن مقطوعاً به علمياً :

- ١ - (في سنة ١٨٦١) وجود مركز للكلام (مركز بروكا Broca) بالمنطقة اليسارية من الدماغ .
- ٢ - (من سنة ١٨٧٠ الى ١٨٧٧) : وجود مراكز محررة في الوسط .
- ٣ - (من سنة ١٨٧٠ الى ١٨٧٧) : وجود مركز للادراك البصري في اسفل مؤخر الدماغ ، ومراكز أخرى لبعض الادراكات الحسية .

\*

\* \*

جل التجارب تقع على ادغمة المرضى بعد موتهم وعلى ادغمة المعاتبة .

ولنرجع الآن الى الفصول الباقية :  
أولها في « أن تمام السعادة على ثلاثة أشياء : قوة الغضب ،  
وقوة الشهوة ، وقوة العلم » .

ثانيها فصل في أن للقلب مع عسكرة أحوال وصفات بعضها  
يسمى أخلاق السوء ، وبعضها أخلاق الحسن .

الثالث في أن جلد ابن آدم أربعة أشياء : الكلب ، والخنزير ،  
والشيطان ، والملك .

بعدها يأتي فصل في أن الإنسان في صورة آدم ، وغدا تنكشف  
له المعاني ، فتكون الصورة في معنى المعاني .

ونجد في هذا الفصل النظرية الآتية ( ص ١٣ ) :

« ... ان الصور تابعة للمعاني ، وإنما يبصر النائم في نومه

ما صح في باطنه ... » ، هذه الفكرة من أسس مذهب ( فرود

(Freud) (وسطكل Stekel) ومدرستهما في الدراسات

النفسية التي تعتمد على الاحلام . وما يسميه ابو حامد (الباطن)

هو نفس ما يعبر عنه في اصطلاحات علم النفس بالعقل الباطن .

ونجد أيضاً في ( المقدمة عند ابن خلدون ) محاولات علمية

في تحليل الرؤيا .

ثم يأتي بعد هذا الفصل، فصل آخر تكميلي، وإثرهما ثلاثتا فصول في عجائب القلب نقتطف من ثانيها (ص ١٥) :

« ان القلب مثل المرآة، والروح المحفوظ مثل المرآة ايضاً لأن فيها صورة كل موجود، واذا قابلت المرآة المرآة الاخرى حلت صور مافي احدهما في الاخرى، وكذلك تظهر صور مافي اللوح المحفوظ الى القلب<sup>(١)</sup> إذا كان فارغاً من شهوات الدنيا... ».

نصل الى فصلين في التصوف والحض عليه، يعقبهما اخر في أن اللذة والسعادة لابن ادم في معرفة الله تعالى.

ومن المفيد أن ننقل هنا من الفصل الذي يلي هذا الفقرة :

« إن نفس ابن ادم مختصرة من العالم وفيها من كل صورة في العالم أثر منه، لأن هذا العظام كالجبال، ولحمها كالتراب، وشعرها كالنبات، ورأسه مثل السماء، وحواسه مثل الكواكب، وتفصيل ذلك طويل، وايضاً، فإن في باطنه صناع العالم، لأن القوة التي في المعدة كالطباخ، والتي في الكبد كالخباز، والتي في الامعاء كالقصار، والذي يبيض اللبن ويحمر الدم كالصبانغ، وشرح ذلك طويل » (ص ١٩).

(١) لا يبعد أن تصبح هاته الفكرة أساساً لحل مشكلات عويصة الى اليوم

كـ (La télépathie) وكـ (La transmission des pensées)



ان المثالين الذين أتيتم بهما ، من تشبيهه اللوح المحفوظ  
بالمرأة ... . وجسم الإنسان بالعالم ، ليعطينا صورة عن ما كان  
لابي حامد من قوة الملاحظة في أشياء المحسوس والباطن ، وقوة  
النفس في متابعة التشبيه إلى النهاية .

ثم ينتقل بنا إلى الفصول الثلاثة الاخيرة التي يحض فيها  
على الزهد في الدنيا كلها : « وكل شرف لم يظهر في الدنيا  
فهو في الآخرة فرح بلاغم ، وبقاء بلافناء ... » .

☆☆☆

ماذا نستنتج من هذا الدراسة؟

نستنتج من هذا كله ان كتاب كيمياء السعادة الذي يتحدث  
إينا عن (م كارا) ليس هو الموجود « بإحدى كتبخانة الاستانة »  
والذي درسنا في هذا الفصل ، وذلك ، (١)

أولا : لم نعرش في المصنف الاخير على مثال الفيل ومدينة  
العميان ، ولا على تمثيل العالم بقصر ( وكل هذا يوجد بنسخة م كارا )  
ثانيا : إن م كارا يقول عند سوقه لمثال المنجمين والاطباء ما ياتي  
« ... وفي الترجمة التركية للجزء الاول ص ٥٦ ... » فعلى  
هذا يكون ( كيمياء ) م كارا في أجزاء [ أو على الأقل في جزءين ]

(١) انظر الفصل المتقدم .

أما [ كيمياء ] مطبعتا السعادة في جزء واحد [ وهو أكبر تقدير ]؛  
كما يؤخذ من هذا أن [ الكيمياء الأولى ] كتاب يبلغ عدد  
صفحاته الستين على أقل تقدير [ وهو أجزاء ] وان الكيمياء  
الثاني مصنف صغير لا يتعدى عشرين صحيفة .

### ملاحظات :

- (١) فلا يبعد إذن أن تكون هناك كيمياء السعادة (الكبرى)  
وكيمياء السعادة (الصغرى) ألف كل منهما على حدة وبالعربية.
- (٢) أو أن الثانية مختصرة من الأولى، وان المختصر هو  
الغزالي نفسه، أو المترجم التركي أو الفرسى .
- (٣) كما لا يبعد أن يكون أبو حامد قد ألف كتاباً بالعربية،  
وآخر بالفارسية (أحدهما أكبر من الثاني) واطلق عليهما اسماً  
واحداً، وإنما الالتباس أتى من التراجم التركيين .
- (٤) وان ناسخاً زاد (غلطاً) في نسخة من النسخ لفظة (والعلوم)،  
فكتب هكذا (كيمياء السعادة والعلوم) (كما عند الاستاذ (١)  
محمد رضا) فنقلها بعض الرواة على ذلك الشكل، ويؤيد هذا  
مانروييه عن الغزالي نفسه، قال :

« ... وأماماتوهمه أهل الإباحة، فقد حصرنا شبههم في سبعة أنواع وكشفناها في كيمياء السعادة ». ( كتاب المتقدمين الضلال ).

\*

\* \*

### الرسالة اللدنية :

ثم نسترسل في مباحثنا بداخل المصنف الذي طبعته مطبعة السعادة، فنصل الى الرسالة اللدنية .

هي إجابة لطلب صديق يريد من الغزالي ان يذكر طرفا من مراتب العلوم، وان يتبسط بالخصوص الى العلم الغيبي اللدني الذي يعتمد عليهما خواص المتصوفات، وأن يصححها ويعزيبها لنفسه ويقر على إثباتها .

بعد الفصل الاول في تعريف العلم والحض عليه، يأتي فصل ممتع في شرح النفس والروح الانساني، أرى من المفيد أن أنقل منها هذه المختارات: بعد أن عرف الروح الحيواني والروح الطبيعي، قال عن النفس (ص ٢٧) :

« وحيثما نقول الروح المطلق او القلب فإنما نعني بها هذا الجوهر، والمتصوفات يسمون الروح الحيواني نفساً، والشرع ورد بذلك، فقال: أعدى عدوك نفسك، وأطلق الشارع اسم

النفس بل أكدها بالإضافة ، فقال : نفسك التي بين جنبيك ،  
وإنما أشار بهذه اللفظة الى القوة الشهوانية والغضبية ، فإنهما  
ينبعثان عن القلب الواقف بين الجنين .

ثم يلاحظ على المتكلمين تعريفهم النفس بالجسم اللطيف ،  
وعلى من يقول إنها عرض ، وعلى من يرى الدم روحا (١) .  
إثر هذا شرع يتكلم عن الجسم ، والعرض ، والجوهر  
الفرد (٢) (ص ٢٨) .

« فالروح الحيوانى جسم لطيف كأنه سراج مشتعل موضوع  
فى زجاجة القلب ، أعنى ذلك الشكل الصنوبرى المعلق فى الصدر .  
والحياسة ضوء السراج والدم دهنه ، والحس والحركة نوره ،  
والشهوة حرارته ، والغضب دخانه ، والقوة الطالبية للغذاء  
الكائنة فى الكبد خادمه وحارسه ووكيله ، وهذا الروح يوجد  
عند جميع الحيوانات . والإنسان هو جسم وآثاره أعراض .  
وهذا الروح لا يهتدى الى العلم ، ولا يعرف طريق المصنوع ، ولا  
حق الصانع ، وإنما هو خادم أسير يموت بموت البدن . لو يزيد

(١) انظر هذه الفكرة بهذا الفصل .

(٢) وهو فصل تمتع من واجب القراءة على أن آتى بها . ومن  
واجبى عليهم أن يقرؤه .

الدم ينطفي ذلك السراج بزيادة الحرارة ، ولو ينقص ينطفي  
بزيادة البرودة . وانطفأ ولا سبب موت البدن ، وليس خطاب  
الباري سبحانه ، ولا تكليف الشارع لهذا الروح ، لأن البهائم  
وسائر الحيوانات غير مكلفين ولا مخاطبين بأحكام الشرع .  
والإنسان إنما يكلف ويخطب لأجل معنى آخر وجد عندنا  
زائداً خاصاً به . وذلك المعنى هو النفس الناطقة والروح المطمئنة ،  
وهذا الروح ليس بجسم ولا عرض ، لأنه من أمر الله تعالى ، كما  
قال : « قل الروح من أمر ربي » وقال « يا أيها النفس المطمئنة  
ارجعي إلى ربك راضية مرضية » . وأمر البارئ تعالى ليس بجسم  
ولا عرض ، بل قوة إلهية مثل العقل الأول واللوح والقلم ،  
وهي الجواهر المفردة المفارقة للحواد ، بل هي أضواء مجردة  
معقولة غير محسوسة . والروح والقلب بلساننا من تلك الجواهر ،  
ولا يقبل الفساد ولا يضمحل ولا يفنى ولا يموت ، بل يفارق البدن  
وينتظر العود إليه في يوم القيامة .

ويقول عن الروح الناطق إنما ليس بجسم ولا عرض .

بل هو جوهر ثابت دائم غير فاسد

ويزيد قائلاً : إن العرض لا يفنى بعد فناء الجوهر ، لأن

لا يقوم بذاته ، وإن الجسم يقبل التحليل كما قبل التركيب من  
المادة والصورة .

ومن هنا ينتقل الغزالي بقرر التصوف .

نصل الى فصل في طريقة تحصيل العلوم ( التعلم الإنساني  
والتعلم الرباني ) ، وهنا يتحدث عن الوحي والإلهام .

نتقل الى فصل في مراتب النفس والنسيان والفطرة .  
وأخيراً نختم بفصل عن حقيقة العلم الدني وأسباب حصوله .

\*

\* \*

كانت - وأنا أحرر هذا الفصل - تتنازعني فكرتان : المحافظة  
على وحدة الموضوع ، ومن جهة أخرى إطلاع القاري . على  
ما في هذين الرسالتين من مسائل مفيدة ، فضلت الفكرة الثانية  
على الأولى بعد أن ألزمت نفسي بالإشارة أكثر ما يمكن لأن  
الاستفاضة في التحليل ، مدعاة الى تطويل ، وليس لي في هذا  
الكتاب الى ذلك من سبيل ، فمعدرة .



# راي الغزالي في علم الكلام

للغزالي تأليف وجيز سماه (إجام العوام عن علم الكلام) يعرض فيه بوضوح، وبفكرة التحليل المعهود كيف يفهم نفسية العوام الدينية، ويوجب فيه على العامة ان يجمعوا عن كثرة البحث والخوض في مسائل هذا العلم، فذلك ضروري لهم: كما انه يجب على من لا يحسن السباحة ان يمسك نفسه عن الاستجراء على أعماق البحر وصونها عن مزلق الشطوط، يجب كذلك صون العامة عن هذا العلم، فيجب عليهم ان يكتفوا في الغالب بالحجج المأخوذة من القرءان وان لا يبحثوا او يفكروا الا قليلا جدا (١).

(١) والكتاب مطبوع يقع في ٤٢ صحيفة من الحجم الصغير، وقد اتبع فيه المؤلف، كعادته، حسن التبويب. وهو يحتوي على ثلاثة أقسام:

(أ) بسط مذهب السلف في العقائد.

(ب) ترجيحه بالدلة، وإظهار أن مخالفهم مبتدعون.

(ت) آراء مختلفة لها علاقة بهذا الموضوع.

وذكر صاحب (كشف الظنون) كتابا آخر للغزالي اسمه (مقصد

الخلاف في علم الكلام).

ويقول إنه قد جمع في كتابه (جواهر القرآن) (٢) ما يناهز  
٥٠٠ آية تختص بمعرفة الخالق، فبهذا يجب أن يعرف العامة  
عظمة الله وعزته، لا بحجج المتكلمين.

فمقدمات المتكلمين وتقسيماتهم وحججهم المعقدة إنما  
تحدث اضطراباً في القلوب الهادئة عوضاً من أن تقنعها، فالبراهين و

المأخذ ذللاً رأساً من القرآن تقنع عقولهم، وتسكن أرواحهم، وتربى  
فيهم إيماناً راسخاً، ومثل ذلك ما يقع في المعتقدات الأخرى :

وحدانيته تعالى، وصدق النبي، والإيمان باليوم الآخر.  
ويرى الغزالي أن الإيمان ست درجات :

في الأولى: يرجع الاعتقاد إلى الدلائل المشروحة تماماً قضية  
بقضية وكلية بكلية والمستوفى شروطها، فهذا هي الحجة العارضة  
(الهندسية)، لكن العقول التي تصل إلى هذا الحد قليلة جداً،  
(وهذا هي المرتبة القصوى).

وفي الدرجة الثانية: الإيمان عن طريق البراهين الوهمية  
الكلامية، المشهورين جهابذة العلماء المسلمة المصدق بها، وهذا  
أيضاً طبقة لا يصعد إليها كل الناس.

(٢) انظر الكلام عنه بعد هذا الفصل



وأما الدرجة التي تلي: فتنحصر في الثقة بالأدلة الخطائية  
المعروفة والكثيرة الاستعمال.

وأما إيمان الطبقة الرابعة: فيرجع إلى الخضوع لبعض  
التعاليم، كما إذا أضعفنا إلى رجل نثق به كلاب مثلا أو الاستاذ.  
والاقتناع عن هذه الطريقة متين، وهكذا يتلقى الصبي عن  
طريق ابويه أو اساتذته دون ان يطالب بأدلة.

وأما القسم الخامس: فيتألف من إذعان العوام بسهولة عند  
سماع الشيء مع قرائن احوال لا تفيد النطق عند المحقق، كما  
إذا علم قوم بمرض امير، ثم سمعوا صياحا وعويلا يتصعدان من  
داره، فيستنتجون موته او بلوغه السياق، وهنا يلاحظ الغزالي  
انه يمكن ان يكون هناك غوايت، لكنها لا يتصور هذا الضلال  
في حق النبي الذي رآه وسمعه الكثير من العرب، ورأوا خصاله  
الحميدة، وأفعاله الطيبة قيد حياته.

وأخيرا نصل إلى إيمان الدرجة السادسة: الذي ينحصر  
في كون العامي يصدق بسهولة ما يميل إليه، وما يطابق طبيعته،  
وهذا هي أضعف درجات الإيمان. (١)

«١» وفي كتاب احياء علوم الدين فصل عنوانه (الآفات العشرون:  
سؤال العوام عن صفات الله تعالى)، كتاب آفات اللسان.

وبناء على هذا، فإن أعلى درجات الايمان - بالنسبة للعامة -

هي التي تتكون من الحجج الماثورة عن القرآن، أو ما يجري مجرى

ذلك، كما عظم الخطباء التي تحرك الأفتد إلى التصديق، فمع

العامة يجب أن يوقف عند هذا الحد، فكل ما تجاوزه تعدى

طاقاتهم، فالكثير من الناس يومنون في صباهم لمجرد التقليد

لابائهم أو لآبائهم، ولحسن ظنهم بهم، وحكاية هؤلاء بين

أيديهم لبعض الحرافات، كالعقوبات التي حصلت بان ليسوا على

عقيدتهم: (١) إن اليهودي الفلاني قد وجد في قبره غولا هائلة،

وان رافضيا قد تحول خنزيرا، فكل هذا يرسخ في ذهن الصبي

رسوخ النقش على الحجر، وبقدر ما ينمو منه بقدر ما يزداد تعلقه

بالعقيدة وثوقا، حتى إذا بلغ أشد لا أصبحت إيمانا لا يشوبه ريب

(ولهذا نرى صبيان المسيحيين والرافضيين والمجوس والمسلمين

يشبون جميعا محتفظين على عقيدته ابائهم، سواء كان هذا الايمان

مبنيا على حق أو على باطل، فلو قطعتهم إربا إربا ماتحلووا عن

«١» يقول العالم الاجتماعي جيراريل تارد (Gabriel Tarde)

«إن التقليد شيء اجتماعي أساسي مطرود في العالم».

ذلك الايمان ، (١) فهم لا يقبلون الدلائل العقلية ولا الدلائل  
(النقلية) ، وكذلك نرى ان الأسارى من المشركين الذين  
لا يعرفون شيئاً عن الاسلام ، يهتقونها بعد أن يقضوا وقتاً تحت  
سلطة المسلمين وذلك حب في التقليد ، والخلاصة هي ان  
التصديق الجازم لا يعتمد على البحث واختبار البراهين وتلاؤمها .

☆☆☆

ان كل هذا الفصل الذي اضطررنا الى تلخيصه مهم ومهم جداً  
لا يخلو من استسلام للقدر مع ارتياب ، أو على الأقل يخالط بين  
العقيدة والمادة ، فينشأ عن هذا أنها ليس لدهماء الناس - فيما  
يتصل بالدين - الا ان يتبعوا مقدورهم ، فمحيطهم وازديادهم  
هما اللذان يجهلان منهم مومنين أو كافرين . (٢)

« ١ » هذه الفكرة إسلامية :

« كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه او ينصرانه أو  
يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء » حديث  
شريف أخرجه البخاري وغيره .

على أن هذا الحديث يعنى بالفطرة الاسلام ، ويجعل ما عداه من  
المعتقدات عوارض تحدث من جراء تأثير الوسط الذي يعيش فيه الصبي .  
وقد عقد الجاحظ فصلاً في مسألة التقليد بكتاب الحيوان ، كما أشار  
الى هذا الحديث الغزالي في (المنقذ من الضلال) عند كلامه على الفطرة ،  
وللرئيس ابن سينا أيضاً كلام على الفطرة .

« ٢ » من الذين دافعوا عن علم الكلام وقاموا برد الفعل ضد هجومات  
الغزالي ، عضد الدين الايجي (انظر فصل كتاب المواقف)

## مؤلفات الغزالي ذات الصبغة الفلسفية

### القحة

« أهم هذه المؤلفات هي :

(١) المنقذ من الضلال .

وهو تصنيف صغير ترجم مرتين للفرنسية بقلم شمولديرس

و Schmoelders بقلم (Barbier de Meyard) باربييه دو مينار

طبع بمباي وبالقاهرة .

(٢) المصنوعون بما على غير أهلهم (الكبير والصغير) .

(٣) مقاصد الفلاسفة ، وهو الكتاب الذي ذكره ابن رشد .

\*

\* \*

لم يزد (مكارا) في التعريف بهذا الكتب على هذا الإشارة؛

وبما أنها مصنوعات ذات قيمة كبيرة، لا أرى بداً من الوقوف هنا

والتعليق عليها تعليقا مناسباً .

## على هامش هاتم الكتب الفلسفية

(١)

المنقذ من الضلال،

طبع بالقاهرة لآمرتين، أولاً سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩٢ - ١٨٩١) وثنانياً سنة ١٣١٦ هـ، وطبع كذلك ببيروت ودمشق عام ١٩٣٤ وباسطنبول (١٨٧٦ م).

أما بأوروبا فكانت أول طبعة عام ١٧٤٢، وتوجد ترجمته بالفرنسية بالمجلة الآسيوية (١٨٧٧)، كما درسه دراسة علمية شمولديرز (Auguste Schmoelders) سنة ١٨٤٢ ونشره مصحوباً بترجمة فرنسية.

يقع في ٤٨ وجهاً من الحجم الصغير، ألفه الغزالي بعد أن جاوز الخمسين من عمره.

\*

\* \*

يحمل فيه حجة الإسلام على التقليد، ويدعو إلى الوصول

للحقائق مباشرة .

كما يصف فيها حالاته النفسية المختلفة ، وما حصل له من صموبات كبيرة حين غشيتها امواج المبادي ، الفلسفية المختلفة المتضاربة ، وكيف دفعه السيل إلى هوة الاضطراب والشك في كل شيء (١) .

إن الغزالي يريد ان يقتنع عن طريق اليقين ، فمطلوبه العلم بحقائق الامور ، فالعلم اليقيني الذي ينشد هو الذي ينكشف معه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكانية الغلط والوهم ، او كما يقول (ديكارت في كتابه حديث المنهج) .

« لا أقبل ابدا صحة اي شيء الا اذا اتضح لي بديهيا انه صحيح »  
(القانون الاول من قوانين المنهج الاربعة) ، ويقول (مالبراناش Malebranche) : « إنه من المضحك ان تتفلسف ضد التجربة » .

فالأمان من الخطأ ، في نظر الغزالي ، ينبغي ان يكون مقارنا لليقين مقارنته بحيث لو : « تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقاب

(١) قارن بين هذا وبين الشك عند ديكارت Descartes الذي سيأتي الكلام عليه . على أن نلاحظ أن الغزالي يجعل من شكه بحثا سلميا ، لا مبدأ أساسيا كما يفعل ديكارت الذي يعتمد على الشك كأساس منه يصعد الي اليقين ، فيصل بحثه الى نتيجة إيجابية .

الحجر ذهباً والعصى ثعباناً، وقلبها وشاهدت ذلك مندهم اشك  
بسببها في معرفتي، ولم يحصل لي منها الا التعجب من كيفية  
قدرتها عليه، فأما الشك فيما علمت فلا، ثم علمت أن كل ما اعله  
على هذا الوجه، ولا اتيقنه على هذا النوع من اليقين، فهو علم  
لا ثقة به ولا امان معه، وكل علم لا امان معه فليس بعلم يقيني».

ثم انتقل به شكها الى التفتيش عن العلوم التي يمكنه تطبيقها  
على هذه القواعد التي فرضها على نفسه، فيئس من وجود علم  
موصوف بتلك الصفات، وكانت النتيجة ألا مطمع في اقتباس  
المشكلات الا من الجليات وهي الحسيات والضروريات، وهذه  
النتيجة هي أساس مذهب (الأيمبريسم L'Empirisme)

المؤسس في أوروبا بالعصر الحديث، ومن زعمائه (لوك Locke  
الانجليزي 1704 - 1632)؛ وهي أيضاً أساس للمدرسة الاحساسية  
(Sensualiste) التي يترأسها (كونديلاك الفرنسي  
Condillac 1780 - 1715).

ثم يتسع نطاق الشك: « فانهى بي طول التشكيك إلى  
أن لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات أيضاً... ».

وهنا يأتي الغزالي بأدلتها هي غاية الدقة في الاحتجاج على ضعف الحواس، ممثلاً بأغلاط اقواها، وهي حاسة البصر حتى وصل الى التصريح بأنها: « قد بطلت الثقة بالمسحوسات أيضا، فاعلموا لا ثقة الا بالعقليات ... » .

أخذ يرتاب في صحة النتائج التي يصل إليها بالحس لما بينها وبين نتائج الحكم العقلي من تباين في غالب الاحيان، « يجب على الفكر ان يحكم على الاشياء معتمداً على قوته الداخلية فحسب، دون أن يصغى لشهادة الحواس والمخيلة الخاطئة المبهمة. » (مالبرانش، كتاب البحث عن الحقيقة)؛ ويؤيد هذا النظرية كذلك افلاطون، والتديس أجيستان، وديكارت، وبرجنس وهانرى كارى وغيرهم ..

على أن أبا حامد لم يكن ليطمأن إلى أحكام العقل، مادامت احكام العقل نفسها، من جهة تتناقض، ومن اخرى تخضع لتأثير الحالة النفسية التي نحن عليها ساعة الحكم، وعليه، إذا تغيرت الحالة النفسية تغير الحكم، وبما ان الحالات النفسية تتجدد، فما هو ياترى الحكم الصائب، هل الاول « حين صدر مثلاً عن نفس تقاوج غضباً؟ أم الثانى (وقد قال به المرء بعد ان خفت وطأة الغضب



وهذا روعه؟

أخذ يتسرب للغزالي الارتباب في صحة احكام العقل نفسه،  
فصاح بأعلى صوته: « . . . فلعل وراء إدراك حاكم العقل حاكم  
آخر إذا تجلّى يكذب العقل في حكمه كما تجلّى حاكم العقل  
فكذب الحس في حكمه ، وعدم تجلّى ذلك لا يدل  
على امتهالته ، (١) »

يقف بنا الغزالي عند هذا الحد، وقد جردنا من الثقة في حواسنا  
وعقلنا وحذرنا من تقليد الغير ، يقف بنا وسط طريق لانعرف  
له مسلكا ، في ليلتنا ليلا ، وقد جن ظلامها ، فلما رأى منا الحيرة ،  
ونحن نتساءل : قد وصلنا الى سلب شامل ، فما العمل ، انبثق  
تحت هذا الظلام الحالك لانتقدم ولا نتأخر؟ قال : انتظروا  
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من القاب ،  
فبعد ريبى واضطرابى وجدت طمانينتى في التأمل ، وضالتي  
عند الصوفية وفي المغامرة في خمرتهم ، « فارتضيت التصوف ،  
وازدريت طرق التفلسف » ، وهذا الحل الاخير مال إليه قلبي  
بإلهام إلهي ، اتبعوا وحي قلوبكم ، وفندوا كل ما تصلون إليه

(١) نجد كانط الفيلسوف الالماني (سياتى الكلام عليه) ينتصر لهذه  
النظرية في (كتاب انتقاد العقل المجرد) .

بحامساتكم، ولا تقبلوا ابد اشهادات عقولكم، إني لكم من الناصحين (١)

\*

\* \*

يقول الامتاذ لطنى جمعه في كتابه (تاريخ فلاسفة الاسلام) ص ٧٤: « إن بعض كتاب الأفرنج يصفون كتاب الغزالي المسمي (المضنون به على غير اهله) باعترافات الغزالي تشبيها لها باعترافات جان جاك روسو ». (٢)

إن الامتاذ قد غلط في هذا، فكتاب (المنقذ من الضلال) هو الذي يطلق عليه الغربيون (اعترافات الغزالي)، وهو الذي يستحق هذا الوصف، لانه رسالتا يتكلم فيها حجة الإسلام بسداجة ولهجة تدل على الصدق والإخلاص عن تطوراته الفكرية، وعن اشتغاله بالعلم اولا، ثم عما طرأ على نفسه من ازمات روحية، الشيء الذي جعل هذا الكتاب مرآة تنطبع فيها صورة ابي حامد وما جريات حياته احسن انطباع، فعول عليه من درسوا حياته كالسبكي من القدماء، في [طبقات الشافعية الكبرى]، ومن المحدثين الدكتور زكي مبارك في اطروحتنا

---

(١) سنعود إلى هذه النقطة بتفصيل في فصل «مذهب الشك» وعندنا

على الدكتور زكي مبارك

(٢) انظر حياته في اآخر الفصل .

(الاخلاق عند الغزالي).

وها فقرات من مقدمة (المنقذ من الضلال) تلقي نورا على الموضوع، قال الغزالي مخاطبا سائلا:

«اما بعد، فقد سألتني ايها الاخ في الدين ان ابث اليك غاية العلوم وامرارها، وغاية المذاهب واغوارها، واحكم لك ما قاميتها في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق، وما استجرات عليها من الارتفاع عن حضيض التقليد الى بقاع الاستبصار، وما استفدته اولا من علم الكلام، وما احتويته ثانيا من طرق اهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الامام، وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف، وما ارتضيته اخيرا من التصوف، وما انحل في تضاعيف تفنيشي عن اقاوين الخلق من لباب الحق، وما صرفني عن نشر العلم بعداد مع كثرة الطلبة، وما دعاني الى معاودتي بنيسابور بعد طول المدة.»

ويجب هنا ان نتساءل: بما ان الغزالي لا يعتمد على العقل والمنطق في الاحكام، كيف ساغ له ان يختار «اخيرا التصوف» من بين مختلف المذاهب التي درس حججها، والطوائف التي تفحص مبادئها؟ ان هذا اختيار عمدته شيء آخر غير العقل وغير

الحسن ، ان مصدره واوع داخلي ، ذلك هو (الافتطار) او ما يعبر عنه (في المنتقد من الضلال) بالذوق ، وعلى هذا يكون الغزالي قد سبق (برجسن المولود ١٨٥٩ بباريز Bergson) الى معرفة اساس المذهب (الافتطاري L'Intuition) ، بيد انه اهتدى له ولم يحلله تحليلاً علمياً ، ولم يعطه حقاً من العناية والفحص كما فعل برجسن الذي جعل من الافتطار مدرسة جديدة في الفلسفة ، يقول الامام الغزالي في مقدمة المنتقد : «... وقد كان التعطش الى ادراك حقائق الامور دأبي وديني من اول امري وربعمان عمري ، غريزةً وفطرةً من الله تعالى وضعها في جبلتي ، لا باختيارى وحيلتى ، حتى انحلت عنى رابطة التقليد ، وانكسرت على

---

العقائد الموروثة . . .

رى انها يحوم حول الافتطار ولكنه ، وبالاسف ، يرددون ان يقف . ان العلماء المعاصرين يتفقون على نظريته في كون الافتطار في الجبلت «غريزة وفطرة» ، وانها «لا يخضع للاختيار والحيلت» ، فالتفكير المنطقي اذن ليس هو مجموع الفكر ، وان الوصول الى المعرفة لا يكون دائماً وابداع طريق الحواس ، وعن طريقها فقط ، بل ان بداخلنا عالماً لا يرتكز على قوانين المنطق ولا

على نتائج الحواس ، عالم فكر غير واضح .  
هكذا فطننا الغزالي الى وجود هذا العالم الداخلي ، وعودنا  
ان نتعرف بالحياة النفسية من جهة عمقها عوضا من ان نقف  
بالمساحة كما كان يفعل القدماء ، وجاء برجسن ومدرسته فاكتشفوا  
من جديد هذا العالم النفسي العميق الغامض ، وقادونا معهم في  
سياحات بداخله ، ولم يكتفوا بالوقوف بتخومها كما فعل  
ابو حامد .

\*

\* \*

ويزعم الاستاذ لطفي جمعة ايضا ان ابا حامد يستهل كتاب  
(المضنون به على غير اهلها) بالفقرات التي اوردتها في ص ١٤٩  
وهذا غلط ، اخر ، اذ هي من مقدمة المنقذ من الضلال ، اذ لو  
صح ذلك لكان زعمه الاول ، من ان (المضنون) هو (اعترافات  
الغزالي) ، صحيحا ايضا ، لان تلك الفقرات تلخص حياة ابي  
حامد الفكرية ، وتشعرنا من اول وهلة من ان الكتاب الذي  
أخذت منه (اعترافات) حقا وليس على الاستاذ لطفي ولا على  
القاريء الا أن يرجع للمصنفين (وهما مطبوعان) ليقف على  
عين الصواب .

انظروا الآن معي الى هاتين الجملتين التي انقلها من (المنقذ)،  
بعد ذلك الى ملخص (المضنون) لتقارنوا، يقول الغزالي —  
المنقذ (ص ٩):

« .. والغرض الآن حكاية حالي لا ... »

وفي ص ٢٨ : « ... ثم تفكرت في نيتي في التدريس فيما  
هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعتهما ومحركها طلب الجاه  
وانتشار الصيت ... » ، فهذان اعترافان صريحان (١) .

والنستمع اليه يتحدث عن نفسه في المنقذ من الضلال (ص ٣ ،  
المطبعة الجمالية سنة ١٣٢٩) :

« ولم ازل منذ راهقت الباطن قبل العشرين الى الآن وقد  
اناف السن على الحسنيين ... انوغل في كل مظلمة، واتهجم على  
كل مشكلة ... واتفحص عقيدة كل فرقة، واستكشف اسرار مذهب  
كل طائفة لا ميزيين محق ومبطل، ومتسنن ومبتدع، لا اغادر  
باطنياً الا واحب ان اطالع على بطانتها، ولا ظاهرياً الا واعام  
حاصل ظهارته، ولا فلسفياً الا واقصد الوتوف على كنه فلسفته،

---

« ١ » ألاحظ ان م كارا لم يهتم بكتيب المنقذ بقدر ما فعل بالكتيب  
الاخرى ، مع ان هذا المصنف الصغير يشرح حياة مترجمنا الفكرية  
وانقلاباته في الميادين المختلفة أكثر من سواة

ولا متكلمياً إلا واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلتها،  
ولا صوفياً الا واحرص على العثور على سر صفوته، ولا متعبداً الا  
وارتصد ما يرجع اليه حاصل عبادته، ولا زنديقاً معطلاً الا  
واتحسس ودرأه للتنبيه لا مسباب جرأتها في تعطيله وزندقته،  
وقد كان التعطش الى ادراك حقائق الامور دأبي وديديني من  
اول امري ... »

هذه الفقرات تزيدنا تبصرة بقيمة (المنقذ) وايماناً بأنه اولى  
من سواه بلقب (اعتراقات)، كما تزيدنا تقديراً للغزالي ولفكره  
الجبار الذي استطاع ان يتفحص مختلف المذاهب، وان يهضم  
الكثير من افكارها المتضاربة المتشعبة، حتى كوّن فكرة عامة  
في جل اصناف المعارف الذهنية الموجودة في عصره، ورائدها  
في ذلك الوصول الى الحقيقة عن طريق البحث والاجتهاد، لا  
يرضي لنفسه الجمود ولا يقتصر على التقليد.

\*

\* \*

يمكننا أخيراً أن نخرج من دراستنا (المنقذ) بالنتيجة  
العامة الآتية:

إن هذا الكتاب يعطينا صورة حية عن ما حصل للغزالي

من شك وما مر به من حالات متغيرة، وأنه شبر غور كل ذلك عويصة الى ان وجد ما يشفي غليله في التصوف فارتضاه مذهبا،  
وتلخص المراحل التي مر بها فيما يلي :

أولا: الفطرة (الاعتقادات الموروثة) في الصبا.

ثانيا: التكوين الفكري الأول والاستعدادات (من الصبا الى البلوغ).

ثالثا: دور البحث (من سن العشرين).

رابعا: (بعد ان عمر خمسين سنة): اعتناق التصوف والاطمئنان إليه عن طريق الافتطار (١).

\*

\* \*

(٢)

المضنون به على غير أهله:

ولناق الآن نظرية على المضنن ، فهناك مضنونان :

المضنون به على غير أهله (الأكبر):

يشك الشيخ مرتضى في صحة نسبته للغزالي ، كما شك في

«١» وقد قيل إنه تاب في آخر أسرة من التصوف ، ومات

مقتنعا بمذهب السلف .



ذلك غير واحد من الباحثين ، كان السبكي في طبقاته ، فيأني  
يروى أن ابن الصلاح ذكر ان هذا الكتاب منسوب إلى أبي  
حامد ، وقال معاذ الله أن يكون له ، ويمن سبب كونه مختلفا  
موضوعا عليه .

طبع بالقاهرة أولا سنة ١٣٠٩ هـ ، وثانيا سنة ١٣١٦ هـ .

محتوياته :

(أ) معرفة الربوبية .

(ب) معرفة الملائكة .

(ج) حقائق المعجزات .

(د) معرفة ما بعد الموت والانتقال من الدنيا إلى العقبى .

وفيه آراء تخالف المشهور عند الأئمة ( كقدم العالم ،

ونفى علم القديم بالجزئيات ، ونفى الصفات ) وسيحيط هذا الأفكار

في كتابه تهافت الفلاسفة .

\*

\* \* \*

المضمون به على غير اهله ( الاصغر ) :

فيه أجوبة عن المسائل الأخوية .

مطبوع ( ١٢ ص من الحجم الصغير ) بالمطبعة الجمالية (١) قال  
بمصر سنة ١٣٢٩ هـ تحت هذا الاسم : [ المضمون الصغير ، وهو لا  
الموسوم بالأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية ] ، أما [ م ليون و  
جوتبي في تعاليقه الفرنسية على رسالة حى بن يقظان لابي بكر بن  
الطفيل ، فيسميه بكتاب « النفخ والتسوية » أو المضمون الصغير »  
ويقول صاحب كشف الظنون :

« ورأيت في مسامرة الشيخ الأكبر أنه قال : إن الشيخ أبا  
الحسن على المسفر كان جليلا حكيما عارفا مخمولا الذكر ، ورأيت  
بسمته له تصانيف منها [ منهاج العابدين ] الذي يعزى لأبي حامد  
الغزالي وليس له ، وإنما هو من مصنفات هذا الشيخ ، وكذلك إذا  
أيضا كتاب ( النفخ والتسوية ) الذي يعزى لابي حامد أيضا ،  
وتسميه الناس ( المضمون الصغير ) .

نجد في اول ص من الكتاب : بعد البسملة هاته الفقرات  
التي هي تلخيص لما فيه : « سئل الشيخ الامام ... الغزالي عن  
معنى قوله تعالى : ( فإذا سويتم ، ونفخت فيها من روحى ) ،  
ما التسوية وما النفخ وما الروح ؟ فبعد أن شرح التسوية والنفخ  
« ١ » طبع سنة ١٣٠٩ هـ وعام ١٩١٣ هـ بالقاهرة طبعة رديئة .

قال عن الروح : « ليس بجسم يحل البدن حلول الماء في الإبقاء ،  
ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول السواد في الأسود  
في العالم ، بل هو جوهر وليس بعرض لأنها تعرف نفسها  
بذواتها ويدرك المعقولات ، وهذا علوم ، والعلوم أعراض ،  
ولو كان موضوع العلم قائما بها لكان قيام العرض بالعرض ،  
وهذا خلاف المعقول . . . »

\*

\* \*

يتضح مما تقدم ان كتاب (المنقذ من الضلال) هو الذي  
يشبه اعترافات جان جاك روسو - من بعض النواحي فحسب ،  
إذ بينهما بون شاسع في كثير من الجهات - ، وأن كتابي (المضنون  
بها على غير اهله) - الأكبر والأصغر - لا يمكن ان يطلق عليهما  
اعترافات الغزالي .

والاستاذ لطفى جمعاً يشير الى (المضنون) دون تمييز بين  
الأكبر والأصغر حتى إننا لا ندري أيهما يقصد ، ومهما يكن من  
شيء ، فعلى فرض ان (المضنون به على غير اهله الأكبر) للغزالي  
فإنه لا يصلح ان يكون (اعترافات أبي حامد) بله المضنون الأصغر .

\*

\* \*

( ٣ )

كتاب مقاصد الفلاسفة :

مطبوع بالعربية [ سنة ١٣٣١ هـ ] وترجم منه الى اللاتينية  
القسم الخاص بالمنطق ، وفي ١٥٠٦ م طبعه [ دى كولونى ] فى  
البندقية (Venise) تحت اسم [منطق العرب وحكمتهم للغزالى].  
وتوجد الآن نسخة لاتينية مخزانتها السربون بباريز ، كما طبع  
بأوروبا فى أواخر القرن التاسع عشر [ ١٨٨٨ ] ترجمته بير

. Beer Georg

محتوياته :

أ) المنطق .

ب) الحكمة الإلهية .

ج) الحكمة الطبيعية .

وهو كتاب يتهم فيه الغزالى للوثوب على الفلاسفة والاعارة  
على مبادئهم ، يشرح فيها ( مقاصدهم ) ويعرف بنظرياتهم  
ليدحضها فى كتاب التهافت ، فكأن الكتابين جزآن من مؤلف  
واحد ، الاول « مقاصد الفلاسفة » لبسط افكارهم وشرحها ،  
والثانى - أي التهافت - لنقدها وهدمها ، وهذا ما يشير إليه

المؤلف نفسه في مقدمة المقاصد :

« ... فسأكتفي بشرح مبادئهم، مضيفاً إليها الأدلة التي يثبتون بها أقوالهم، ففايتة هذا الكتاب هي شرح مقاصد الفلاسفة، ولهذا اخترت له هذا الاسم. » ؛ ويقول كذلك :  
« حتى إذا فرغنا منه امتأنفنا له جداً وتشميراً في كتاب مفرد نسمة تهافت الفلاسفة » .

☆☆☆

( ٤ )

إن مؤلفات الغزالي كثيرة جداً، وقد قال بعضهم إنها أكثر من ١٣٠ مصنفاً، لكن قد شك المؤرخون في صحة نسبة الكثير منها إلى أبي حامد .

ومن أهم كتبه التي لم يطعن في صحتها له - على ما أعرف :-

أيها الولد !

كتاب في الاخلاق [ ومن الغريب أن الدكتور زكي مبارك لا يعتمد عليه في دراسة الاخلاق عند الغزالي، فلم يادكتور ؟ ]  
مطبوع ومترجم للامانية والانجليزية، ويحتوي على نصائح تظهر الغزالي بمظهر الرجل العملي الذي كل همه في العمل، منها :  
« لو قرأ رجل مائة الف مسألة علمية عليها وتعلمها ولم يعمل

بها لا تفيد إلا بالعمل .

العلم شجرة والعمل ثمرتها، ولو قرأت العلم مائة سنة، وجمعت  
الف كتاب، لا تكون مستعداً لرحمة الله إلا بالعمل .

العلم بلا عمل جنون، والعمل بلا علم لا يكون عملاً .  
اجعل الهمة في الروح، والهزيمة في النفس، والموت في  
البدن . «

☆☆☆

الدررة الفاخرة في كشف علوم الآخرة:

مطبوع و مترجم إلى الفرنسية بقلم Lucien gautier

ليسيان جانتى )

وهو من طراز المظنون به على غير أهله (الاصغر) .

☆☆☆

جواهر القراءان :

طبع طبعتين بمصر، إحداهما سنة ١٣٢٩ بمطبعة كردستان،  
والثانية بالمطبعة الرحمانية، وتوجد نسخة خطية في المتحف  
البريطاني وأخرى في مكتبة برلين، ويقع في ٦٦ ص من  
الحجم الصغير .

قسمه الى علوم واعمال ، وأكثر لا سرد لآيات قرآنية .

\*

\* \*

قيل إن آخر تأليف الغزالي هو ( منهاج العابدين ) وهو صغير الحجم ، جمع فيه ما في ربع المهلكيات من كتاب إحياء علوم الدين ( انظر التعليق الاول ، ص ٣ - ٤ من شرح الكافي على عقيدة أهل السنة ، مطبعة النيل بمصر ) وراجع كذلك كشف الظنون .

رتبه الغزالي على سبع عقبات : الاولى عقبة العلم ، الثانية الثوبة ، الثالثة العوائق ، الرابعة العوارض ، الخامسة البواعث ، السادسة القوادح ، السابعة الحمد والشكر .

وقد ترجمه الى التركية إلياس عبد الله المعروف بنهائي بعد أن أضاف إليه مسائل العبادات الخمس .

\*

\* \*

( ٥ )

جان جاك روسو .

روسو ( ١٧٧٨ - ١٧١٩ ) J. J. Rousseau كاتب مبرز في

الآداب الفرنسية ، يعد هو وفولطير فرسي رهان القرن الثامن عشر

ازداد بجنيف من أب ساعاتي .

انتقلت أسرته ، قرنا قبل ازديادلا ، من فرنسا الى سويسرا  
فراراً بمبادئها الدينية ، (لأنها كانت من اتباع المصلح الديني كالفان).

لكنه أبولا منذ صباه حب العلم ، حيث كان يقضى معه الساعات  
الطوال في المطالعة ، خصوصا كتب التاريخ .

انتقل في بعض الوظائف الصغيرة ، وأخيرا في ١٧٥٠ أظهر  
للجمهور محاولة في فن الموسيقى (نوطة بالاعداد) .

ثم اتفق أن أعلنت في فرنسا مسابقة ادبية حول  
الموضوعين الآتيين :

(١) هل تقدم الفن والعلم أعان على فساد الأخلاق ، أم على

صلاحها ؟

(٢) ما هو أسس عدم التساوي بين أفراد الإنسان ؟

شارك روسو في هاتين المسابقتين ، فراجت كتابته بين جميع

الاطراف لعذوبة أسلوبه ولأفكاره الغريبة ، فقد تحامل على المدينة

وعلى الحياة في الوسط (فكل الشر الذي يلحق المرأ ، أو يصدر

عنها يأتيها من الوسط الذي يعيش فيها) ، هذه الفكرة هي

أساس مذهبه .



بعد هذا نشر قصتها في الحب La Nouvelle Héloïse ،  
وحدثنا اجتماعيا : العقد الاجتماعي Le contrat Social و(إميل)  
في التربية (Emile) .

على أنه في هذا الوقت - وقد اتته الشهرة - اضطر لأن  
يبتعد ، ثماني سنوات ، في سويسرة وبريطانيا العظمى من أجل  
ما أحدثته من ضجعة أفكاره المخالفة لما كان عليه الناس ،  
فكانت سنوات بؤس وشؤم عليه .

وبعد ذلك كتب اعترافاته الشهيرة ، وكتابا آخر [ أحاديث  
مباحة . نهزل ] . Propos d'un promeneur solitaire .

للدكتور محمد حسين هيكل كتاب عربي في جزأين ، عن  
حياله هذا الرجل وآثاره .



## كتاب تهافت الفلاسفة

وله كتاب شهير «تهافت الفلاسفة» طبع بالقاهرة سنة ١٣٠٣ (١)  
مع تهافت التهافت لابن رشد وكتاب خوجه زاد.

اشتهر هذا الكتاب بأوروبا منذ القرون الوسطى بفضل

ترجمة عبرانية، فقد عرفها [ليل ريمون Lulle Raymond]  
وعنى بها في العصر الحاضر العلماء ومؤرخو الفلسفة أيما اعتناء.

لقد اعتمد [سمولديرز Schmolders] على الصيغة

اللفظية للتهافت فقال (دون ان يعرف الكتاب): إنها تدل على

التفاعل، ففسرها بـ «التفنيد المتبادل بين الفلاسفة» ظناً منه أن

غرض الغزالي أن يقابل أقسى المذاهب المتناقضة، وأن يظهر

إنها تتداخض.

---

١ أي ١٨٨٤ م، وذلك بالمطبعة الاعلامية، وطبع بيومباي سنة

١٨٨٦، وسرات أخرى بمصر (١٩٠١، ١٩٠٢، ١٩٠٣، ١٩٠٤).

وتوجد ترجمته بالعبرية و١٧ نسخة خطية موزعة على أكبر الخزائن.

أما (مونك Munk) فقد أوضح أن هذا مجرد ادعاء، وفهم أن الغزالي أخذ على نفسه في هذا الكتاب أن يحطم مبادئ الفلسفة بنقد عام. ولم يحاول «مونك» أن يشرح معنى فيلسوف في «تهافت الفلاسفة» ، وزاد هذا العالم قائلاً :

« ان كل قيمة الغزالي بالنسبة إلينا منحصر لآ في ارتيابه، وهذا

---

ما يجعل له مكانة في تاريخ فلاسفة العرب . »

ويقول (رونا Renan) : « حينما أصبح الغزالي صوفياً تصدى لإثبات عجز الفكر الكلي ، ولجعل عمدة الدين هي الشك ، هاتمة العملية الحاسمة التي سحرت أفكار أولئك الذين كثرت جرأتهم بقدر ما قلت حكمتهم » .

إن كل هذا الآراء ليست على صواب ، فالحقيقتة هي ان كتاب تهافت الفلاسفة انتقاد موجه ضد مدرسة الفلاسفة [بحصر المعنى] ، فيمكننا ان نترجمه :

ب « بلاد لا أو لغو الفلاسفة » .

محتويات الكتاب :

في هذا الكتاب مقدمة (١) وعشرون مسألة ، الغاية منها

---

(١) بل بالكتاب أربع مقدمات ، كما يعلم بالوقوف على ذلك في طبعات

دحض الآراء الفلسفية الفاسدة، وإظهار ان لافائدة في الآراء  
الآخري الصائبة .

فالمسألان الاولان تبطلان أزلية العالم وابديته ، والرابعة  
في تعجيز الفلاسفة عن الإتيان بأدلة يثبتون بها وجود صانع العالم .  
ومن جملة الآراء التي فندها قولهم ( أي الفلاسفة ) : ان  
الاول لا يعلم الجزئيات ، (٢) بخلاف نفوس السماوات ، فهي تطلع  
على جميع الجزئيات الحادثة في هذا العالم ، (٣) وان السماء حيوان  
متحرك بإرادته ، (٤) والنفوس الإنسانية (٥) سرمدية يستحيل

مختلفة ، فانظر مثلا آخر طبعة (المطبعة الكانوليكية ببيروت) وهي أجمل  
طبعة متقنة ، اعتنى بتصحيحها والتعليق عليها الأب (Maurice Bouyges)  
موريس بويج) سنة ١٩٢٧ م وجعل لها فهرس مختلفة .

(٢) هذه هي المسألة الثالثة عشر ، يحاول فيها أبو حامد ان يحبط  
قولهم بأن الله تعالى لا يعلم الجزئيات المنتظمة بانقسام الزمن الى الكائن  
وما كان وما يكون .

(٣) هذه المسألة السادسة عشر ، بدحض فيها قولهم ان نفوس السماوات  
مطلعة على جميع الجزئيات الحادثة في هذا العالم ، وأن المراد باللوح  
الحفوظ نفوس السماوات ، وان انتقاش جزئيات العالم فيها يضاحي انتقاش  
الحفوظات في القوة الحافظة المودعة في دماغ الانسان .

(٤) هذه هي المسألة الرابعة عشر .

(٥) هذه هي المسألة التاسعة عشر .

عليها عدم ، وكذلك إنكارهم للبعث (١) ورد الأرواح  
إلى أجسادها .

ومن الآراء المسماة التي يرى الغزالي أنهم عاجزون عن  
إثباتها بأدلة :

أن الله هو خالق العالم ، وأن روح الإنسان جوهر قائم بنفسه .  
إن الفلاسفة ، في نظرها ، مجبورون على الوصول (تحت قيادة  
أقيستهم نفسا) إلى الإلحاد وإلى مذهب المادة واليهولي .

أما من حيث مزاوله العقل ، وإقامة براهين من فلسفة المدرسة

---

التقليدية الجدلية ، فإن هذا الكتاب في الدرجة الأولى من

---

المتانة ، فالغزالي ماهر في هذا الفن الذي أراد أن يظهر بطلانه ،

ولكن الشيء الذي يهمنا هو أن نعرف ، هل يريد الغزالي أن

ينقد بعض آراء المدرسة الجدلية التقليدية التي يرى أن فيها

غلطا ، أم يريد أن يظهر أن العقل نفسه عاجز ومخطر . فيظهر

---

«١» هذه هي المسألة العشرون ، وقد عنوانها الغزالي هكذا : مسألة

في إبطال إنكارهم للبعث الأجساد ، ورد الأرواح إلى الأبدان ، ووجود

النار الجسمانية ، ووجود الجنة والطور العين وسائر ما وعد به الناس ،

وقولهم أن كل ذلك أمثلة ضربت لعوام الخلق لتفهم ثواب وعقاب

روحانيين ها أعلى رتبة من الجسمانية .

من إلهاب الغزالي في الانتقادات ، وتوجيهها ضد النقط الاساسية  
في المذهب التقليدي المدسى الجدلي ، أنه يقصد الفكرة الاخيرة .  
ويجب ان نفحص أيضا المسائل المتعلقة بقدم العالم وأبديته  
واتساعه ، وكذلك سياق الاسباب بلا انتهاء ، والعدد اللانهاى (١)  
(وقد ظن ان كل الايضاحات لا تجدي نفعاً ، وانه يمكن ان يخرج  
بنتيجة تؤيد الطرفين المتناقضين ، ومن هنا يكون قد سبق  
الفيلسوف (كانط) (٢) في هذا النظرية .

«١» انظر فصل : اللانهاية .

«٢» كانط Emmanuel Kant [ ١٧٢٤ - ١٨٠٤ ] فيلسوف ألماني .

لها ثلاثة مصنفات :

ا [ انتقاد العقل المجرد .

ب [ نقد العقل العلمي .

ت [ انتقاد الحكم .

وهو فلكي رياضي ، تعلم فلسفة ليبنيذ الالماني Leibniz

والفرنسي روسو J. J. Rousseau .

وفلسفة تدور حول النقط الاتية :

ا [ ماذا يمكننا أن نعرف ؟

ب [ ماذا يجب أن نعمل ؟

ت [ ماذا نستطيع ان نأمل ؟

وتتلخص في هذه الجملة : فلسفة تعتمد على الشك في حقائق الاشياء

وعلى اليقين في الاخلاق ، والنية أساس نظريتها [ في الاخلاق ] على

ان من درس هاتم النظرية يجد أنها تتلخص في الحديثين الشريفين :

« النية أحسن من العمل » و « إنما الاعمال بالنيات » .

إنه لا يقول هذا تماماً ، لكن ضربه من الاقتناع ، بسياق الأدلة وإعادتها على نمط آخر ، والاحتجاج بها في الوجوه المتباينة ، محصياً للفرق ، مظهراً للضادة بين الحالات المختلفة ، هو الذي يجعلنا نرجح أنه مندفع نحو إثبات القضية وتأييدها ، بقدر ما هو مدفوع نحو تقابلها ونفيها ، حتى إننا نشعر بالتناقض القوي .

فلنا الحق إذن أن نعتبر هذا الكتاب كبا كورة نيرة ، ومحاوله

قيمة في انتقاد العقل الصرف .

لقد تزعم ابن رشد الدفاع عن المنطق وأقضية فلسفة المدرسة التقليدية الجدلية ، فأخذ ينتقد (تهافت الفلاسفة) صفحة صفحة ، في كتاب سماه (تهافت التهانت) (١) وهو وإن كان يعترف بما وقع لابن سينا من اغلاط ، فإنه في الجملة يدافع عنه ، ويدعي أن آراء الفلاسفة متينة جداً ، وإنها تركز على حجج

« ١ » فرد عليه من حيث الافكار ، ومن حيث الطريقة المتبعة في البحث ، فأخذة برده على الفلاسفة عموماً ، لأن هذه طريقة عوجاء ، إذ يجب تحديد الموضوع ؛ كما يجب تقسيم المسائل ؛ يبدأ الباحث بأصغر مسألة ، ثم منها ينتقل إلى ما بعدها ، بصورة غير شاملة ؛ وهكذا يصعد من السهل إلى الصعب . وهذه الطريقة التي أشار إليها ابن رشد ، وطبقها هو نفسه في « تهافت التهافت » ، هي أحد القوانين الأربعة التي وضعها (ديكارت) « في حديث المنهج » - انظر تفصيل ذلك في فصل : مذهب الشك - .

يقينية، لكن ابن رشد لم يبلغ كعب سابقه الشهيرين (الغزالي وابن  
سينا) في هذا الميدان ، كما انه لم يصل في آرائه فيما وراء  
الطبيعة الى مرتبتهما ، وتنقص اسلوبه المتانة الهندسية التي  
يصطبغ بها اسلوب ابن سينا ، وكذلك تنقصه السلاسة الظريفة  
التي يتحلى بها اسلوب أبي حامد ، ومن جهة اخرى فإن  
نظريته ابن رشد ليست في نفس الموضوع ، ويظهر انه كان  
يهتم ( في مختلف المسائل التي كانت مطروحة على بساط  
البحث ) بمعرفة الرأي الحقيقي لأرسططا ليس ، اكثر من اهتمامه  
بوضع اقيسة قائمة بذاتها ، غير ان له تحليلات ذلقة ، وملاحظات  
تاريخية توجب المبالاة ، ويمكننا ان نؤيد ما قلنا بهذا السطور  
من كتاب (تهافت التهافت ( ١ ) ) : « فإن قيل : فما تقول أنت  
في هذا المسألة ، وقد ابطت مذهب ابن سينا في علة الكثرة ،  
فما تقول انت في ذلك ؟ فإننا قد قيل : إن فرق الفلامفة كانوا  
يحييون في ذلك بواحد من ثلاثة أجوبة :

( ا ) ان الكثرة انما أنت من قبل الهيمولي .

( ب ) انما جاءت من قبل الآلات .

( ت ) انما هي من قبل الوسائط .



وحكى عن آل ارسطو أنهم صححوا القول الذي يجعل

السبب في ذلك التوسط ، قلت : (١)

« ان هذا لا يمكن الجواب فيه ، في هذا الكتاب ، بجواب

برهاني ، ولكن لسنا نجد لأسطو ولمن شهر من قدماء المشائين

هذا القول الذي نسب اليهم ، الا (لفوفوريوس Phorphire de Tyr

الصوري) صاحب مدخل علم المنطق ، والرجل لم يكن من

حذاقهم . والذي يجري عندي على اصولهم ، ان سبب الكثرة

هي مجموع الثلاثا ، أعنى المتوسطات والاستعدادات والآلات ،

وهذا كلها قد بينا كيف تستند إلى الواحد وترجع اليه ، اذا كان

وجود كل واحد منها بوحدة محضته هي سبب الكثرة ، وذلك

انه يشبه ان يكون السبب في كثرة العتول المفارقة ، اختلاف

طبائعها القابلة فيما تعلق من المبدأ الاول ، وفيما تستفيد منه الوحدة

التي هي فصل واحد في نفسه ، كثيرة لكثرة القوابل له ، كالحال

في الرئيس الذي تحت يده رياسات كثيرة ، والصنائع التي

تحتها صنائع كثيرة ، وهذا نفحص عنه في غير هذا الموضوع ،

(١) « ان مسألة اصل الكثرة في الاحياء ، وكيف ان الكثرة تحصل ناشئة

عن الوحدة دون ان ينقصها ، لمن أهم المسائل في الفلسفة التقليدية

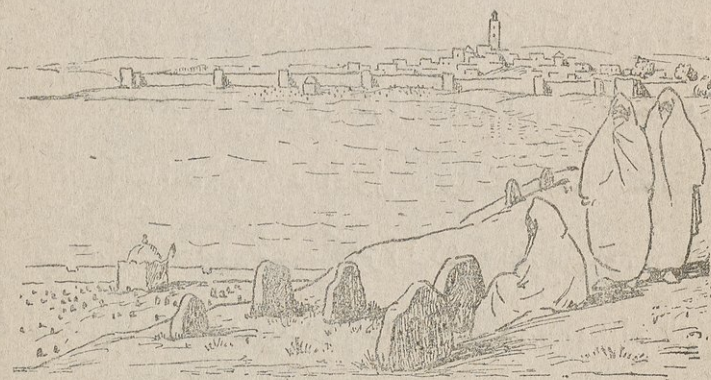
المدرسية بالشرق » [ تعليق للمسيو كارا ] .

فإن تبين شيء منه والارجع الى الوحي ، واما ان الاختلاف يقع  
من قبل الاسباب الأربعة فبين ، وذلك ان اختلاف الافلاك  
يكون من قبل اختلاف تحركها او اختلاف صورها وموادها ،  
ان كان لها مواد ، وافعالها المخصوصة في العالم .

\*

\* \*

لم تقف المعركة عند هذا الحد ، فقد جاء ، بعد هؤلاء الرجال  
الثلاثة ، خوجه زادة فصنف بأمر من محمد الثاني الفاتح ، تهافتا  
ثالثا ليهدم كتاب ابن رشد ، وينتقم لعلم الكلام ، وليظهر مرة  
أخرى ضروريتنا إلى الإيمان ، وان العقل ضعيف (١) .



«١» خوجه زادة باحث تركي توفي سنة ١٩٣ هـ .

كما تصدى الى الخوض في هذه المعركة الجدلوية ، علاء الدين بن علي  
الطوسي ، فوضع كتاباً سماه (الذخيرة في المحاكمة بين تهافت الفلاسفة)

## على هامش كتاب تهافت الفلاسفة

يمكننا أن نحصر الفكرة الأساسية لكتاب تهافت الفلاسفة في قولنا: ان الغزالي يرى استحالة وصول المرء للحقائق عن طريق العقل، لان العقل ضعيف عاجز، وان الآراء الفلسفية ضالّة مضلّة لا تركز إلا على شفير هيار، وان الفلاسفة كلهم خبط ولغو.

للتظيرية الاولى (انتقاد الحكم العقلي) أنصار من أقطاب الفلسفة الأوربية الحديثة مثل كانط (Kant) كارأينا - واستاذة ديفر هيوم David Hume (فيلسوف ومؤرخ أنجليزى 1776 - 1711) ، فالغزالي يحلل موضوعا من الفلسفة في حين أنه يحاربها فهو يعتمد على مبادئ فلسفية في تهديم الفلاسفة، يقول في كتاب المنقذ من الضلال:

«... فالأنبيا أطباء أمراض القلوب، وإنما فائدة العقل وتصرفه أن عرفنا ذلك ويشهد للنبوة بالتصديق، ولنفسه بالعجز»

عن درك ما يدرك بعين النبوة ، واخذ بأيدينا وساهلنا اليها تسليم  
العميان الى القائدين ، وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء المشفقين .  
والى ههنا مجرى العقل ونخطا ، وهو معزول عما يعد ذلك الا  
عن تفهيم ما يلقيه الطبيب إليه . فهذا موقف سلبي محض ،  
لكنه فلسفي بالرغم عن الغزالي (١)

☆☆☆

(١) ان القاضي أبا الوليد بن رشد في زمرة من الفلاسفة ،  
يعتقد ان أبا حامد انما يقول [ في كتابه تهافت الفلاسفة ] بقمه  
ماليس في فكره ، فزعم ان ثمة رسالته [ مقاصد المقاصد ] شرح  
فيها ابو حامد ما يرمى اليه من حملته على الفلاسفة .  
ويظهر لي انه تظاهر بالحلمة على الفلاسفة ارضاء لاهل السنة ،  
ونحن نعلم ان السنين كانوا اذ ذاك اقوياء (٢) ، وان الغزالي

---

(١) فهو كما يقول عنه م كارا ( انظر ص ١٦٦ من هذا الكتاب :  
« ماهر في هذا الفن الذي اراد ان يظهر بطلانه » .  
(١) انظر كيف يصف ابن رشد هذا التلون في ص ١٩ من كتابه  
فصل المقال « مطبعة الآداب والمؤبد بمصر سنة ١٣١٧ » : « .. إنه لم  
يلزم مذهبا من المذاهب في كتبه ، بل هو مع الاشاعرة اشعري ، ومع  
الصوفية صوفي ، ومع الفلاسفة فيلسوف ، وحتى إنه كما قيل :  
يوما يمان ، إذا لاقيت ذا يمن \* وإن لقيت معديا فعد ناني » .

كان يبخل بكتبه على [النار] وبسمعه على [المحاربة] (١).  
وهاء عبارات يصرح فيها ابن رشد بشكها في اخلاص الغزالي  
فيما ادعاه في التهافت :

« فتعرض ابى حامد الى مثل هذا الاشياء ، على مثل هذا  
النحو من التعرض لا يليق بمثلها ، فيانه لا يخلو من احد امرين :  
(١) إما انه فهم هذه الاشياء على حقائقها ، فساقها هاهنا على  
غير حقائقها ، وذلك من فعل الاشرار .

(٢) وإما انه لم يفهمها على حقيقتها ، فتعرض الى القول فيما  
لم يحط به علما ، وذلك من فعل الجهال .

والرجل يجل عندنا عن هذا الوصفين ، ولكن لا بد للجواد  
من كبوة ، فكبوة ابى حامد هي وضعه هذا الكتاب - أي تهافت  
الفلاسفة - ولعله طرأ الى ذلك من اجل زمانه ومكانه .

فالنبوغ منذ وجد وهو في حاجته الى انصار اقوياء ، افرادا  
واحزابا ، ليحيطوا بمشعلهم فيردوا عنه الزوابع من الإطفاء ،  
ويعينوا على نشر نورها ، وقد فطن لهذا أبو حامد منذ بدأ فكرة  
يلعب في ميدان المعرفة والمناظرة ، فانكمش تحت جبة نظام الملك

(١) وقد رمى بالزندقة قبل ذلك .

الوزير الشهير ، كما تدثر بأذيال الخلفاء والوزراء ، ابو يوسف  
الكندي وابو نصر الفارابي والشيخ الرئيس ابن سينا ، فلا بد  
للنبوغ من (مصين Mécène) كما يقول الافرنج ، أو من رشيد  
ومامون كما ينبغي ان نقول نحن .

☆☆☆

(٢) كما لا يبعد ان يكون الغزالي مر ببعض ازمات الارتياب ،  
فاندفع تحت وطأتها الى تسطير هجومات على الفكر والمنطق ،  
ثم بعد ان هدات ثورتها وتأججتها عمل على تهديم ماصدر منه  
اولا . وهذا الراي هو الذي يبرر كتابته الغزالي (بعد انتهائنا  
من كتاب التهافت) بعض الرسائل والمصنفات ينتقد فيها مقدمه  
في تهافت الفلاسفة ، وعودتها الى تأييد مباني الفلسفة ، وبناء  
من جديد ما عمل على تهديمها من قبل .

وكثيرا ما تأتي الازمات الروحية فجأة ، ثم تنصرف فجأة ،  
ومثل ذلك يحصل احيانا حتى في الازمات الجسدية او الاقتصادية  
في الشعوب : « فكثيرا ما نلاحظ اننا في الشهر الماضي حكمنا على  
شيء بكذا ، وانا حكمنا كان مطبوعا بحالته فكرية خاصة ، وانا  
الآن لانرى مثل ذلك الحكم ، وهكذا تتبدل من سنة لآخرى

نظرياً يتدافى الأشياء، فما كان وهما يصبح حقيقة، وما كان مهماً يصبح  
لا قيمة له، دون ان نعرف لهذه الانقلابات من سبب» عن كتاب  
(Text-Book) في قواعد علم النفس لـ (وليام جيمس W. James)  
ويقول (برجسون Bergson) في هذا المعنى، بعد ان فرق الانسان  
الى شخصين، الشخص العميق Le moi profond الذي يتجلى في  
عالم الافتطار، والشخص السطحي Le moi superficiel الذي  
يبدان العقل واللسان (١)

«بينما الشخص السطحي يتركب من افكار فاترة لا حركتها  
فيها ودائمة التماثل بعضها مع بعض، بينما يرى الحر كآلة صفة  
ذاتية في الشخص العميق، ومقر هذا التغيير الذي لا ينقطع  
ليس في المرور من حالة الى الحالة التي بعدها فحسب، بل  
في التحول المستمر من هذه الحالات نفسها» .

☆☆☆

(٣) من بين العشرين مسألة [التي تقدم الكلام<sup>(٢)</sup> عليها]  
تصدى على الخصوص لدحض ثلاث، وهي:

أ] قول الفلاسفة ان العالم قديم [وهي المسألة الاولى]

(١) انظر إيضاح هذه المسألة في بضع ثوان مع الدكتور زكي مبارك

(٢) انظر الفصل السابق

والثانية ، اى ازلية العالم وأبديته ]

ب) قولهم إنه تعالى لا يعلم الجزئيات الحادثة من الاشخاص  
[ وهى المسألة الثالثة عشرة ] .

ج) إنكارهم بعث الاجساد وحشرها [ المسألة العشرون ] .  
فما هو السرفى امتياز هذا النقط على غيرها ؟

ان لهذه المسائل الثلاث مساسا مباشرا بالدين الاسلامى ابرز  
مما فى غيرها ، وفي هذا التخصيص نتيجتان ربما قصد هما الغزالي .

الاولى : ربح العامة الى جانبها ، لانه اخذهم من الناحية  
الدينية ، اى انه ضرب على وترهم الحساس .

الثانية : جلب اهل السنة وتكتميلهم حولها ، لانه حارب  
اعداءهم ، « وعدو العدو صديق » .

هذا فرض من الفروض ، وليس بمحال ان يكون صحيحا ،  
فالغزالي انسان قبل كل شىء ، يجوز في حقها من المحامد  
والمساوى ما يجوز في حق بقيمة الناس ، وليس ببعيد كذلك ان  
يكون هذا الفرض خطأ ، ولكن التفكير الحر والبحث العلمى  
يفرضان على مثل هذا التصريح ، مما أرى من مثل هذه الفروض .

\*

\* \*



(٤) فإذا صح ما قدمت يكون كل ذلك صادرا عن دهاء وسياسة أبي حامد: « أليست قيمة العقل في القدرة على لبس لكل الظروف ما يناسبها » كما يقول (Paulhan بوهن) في المجلة الفلسفية [ ديسمبر ١٨٨٨ ] ؟ أما من الناحية النفسية ، فيظهر لي أن هناك باعشرين آخرين دفعا بالغزالي إلى تأليف [ كتاب تهافت الفلاسفة ] ثم إلى البحث على الخصوص في تلك النقاط الثلاث ، أذكر أيضا هذين الباعشرين حبا في الوصول إلى الحقيقة العلمية التي هي فوق الافراد ، والتي يجب ان يكون التعصب لها فوق كل تعصب لسواها ، على أن لا أثبت . ولا أنفي ، وهما :

(أ) حب الظهور والشهرة ، وهو شيء جبلي في الانسان  
ب) الحسد : « وقد يما كان (١) في الناس الحسد . »

حاول أبو حامد أن يظهر بالتغلب على الفلاسفة ، من أرسطو المعلم الأول إلى معاصريه ، (٢) كى يقول الناس [ الاشاعرة

(١) عمر بن أبي ربيعة .

(٢) « فقد نرى ان ابا حامد قد غلط على الحكماء المشائين فيما نسب اليهم من انهم يقولون انه قدس وتعالى لا يعلم الجزئيات اصلا ، بل يرون انه تعالى يعلمها بعلم غير محانس لعلمنا بها . . . » ابن رشد ، فصل المقال ص ١١ .

والعامّة منهم على الاخص [انه حارب المتكلمين و الفلاسفة في ميدانهم

فانقصر عليهم] ونشوة هذا التغلب لا تكلف [

ثم تعرض بصفة خاصة الى سابقه الحكيمين الفارابي وابن

سينا ليسفه اقوالهما ، وبالطبع ليستقيا من أعين مقديريهما [اصالح

شهرته] ، لأنهما امتازا قبله بالحكمة وبعد النظر ، فالتمنافس

هو الذي دفع به الى منازعتهما البقاء على صفحات تاريخ الخلود

في التاريخ الاسلامي :

« ... ثم المترجمون لسكلام ارسططاليس لم ينفك كلامهم

عن تحريف وتبديل محوج الى تفسير وتأويل ، حتى اثار ذلك

ايضانا عا بينهم ، واقومهم بالنقل والتحقيق من المتفلسفة الاسلامية

الفارابي ابو نصر وابن سينا ، فلنقتصر على ابطال ما اختاراه ورأيا له

الصحيح من مذهب رؤسائهم في الضلال ، فإن ما هجره الا

واستكنفاه من المتابعين فيه لا يتمارى في اختلافه ، ولا يقنقر

الى نظر طويل في ابطاله ، فليعلم انما مقتصرون على رد مذاهبهم

بحسب نقل هذين الرجلين كيلا ينتشر الكلام بحسب انتشار

المذهب . [ فقرات من المقدمة الاولى لكتاب تهافت الفلاسفة ]

لم تكن حزازات الحسد لتقف به عند هذا الحد ، من جعل الحملة موجة بالاحص ضد هذين الحكيمين ، بل عمل على تعريقهما في وابل من سخط العامة ولعنات الدهماء ، فكفرهما في جملة من كفر من الملاحدة والمتفسفين ، انظر مايقول في خاتمة الكتاب :

« فان قال قائل : قد فصلتم مذاهب هؤلاء ، أفقطعون بكفرهم ووجوب القتل لمن يعتقد اعتقادهم ؟ (قلنا) تكفيرهم لا بد منها في ثلاث مسائل [ احداها ] مسألة قدم العالم ، وقولهم ان الجواهر كلها قديمة . [ والثانية ] قولهم ان الله تعالى لا يحيط علما بالجزئيات الحادثة من الاشخاص . [ والثالثة ] في انكار بعث الاجساد وحشرها .

فهذه المسائل الثلاث لا تلائم الاسلام بوجه ، ومعتقدها معتقد كذب الانبياء ، وانهم ماذكروا على سبيل المصاححة تمثيلا للجواهر الخلق وتفهما ، وهذا هو الصريح الذي لم يعتقد احد من فرق المسلمين ، فأما ما عدا هذه المسائل الثلاث من تصرفهم في الصفات الالهية واعتقاد التوحيد فيها ، فمذهبهم قريب من مذاهب المعتزلة ، ومذهبهم في تلازم الاسباب الطبيعية هو

الذي صرح المعتزلة به في التولد ، وكذلك جميع ما نقلنا عنهم  
قد نطق به فريق من فرق الاسلام ، الا هذه الاصول الثلاثة .  
فمن يرى تكفير اهل البدع من فرق الاسلام يكفرهم ايضا به ،  
ومن يتوقف على التكفير يقتصر على تكفيرهم بهذا المسائل .  
واما نحن فلسنا نؤثر الآن الخوض في تكفير اهل البدع وما  
يصح منها وما لا يصح كيلا يخرج الكلام عن مقصود  
هذا الكتاب . (١)

\*

\* \*

دافع القاضي ابو الوليد . عن الفاربي وابن سينا ، وعن  
الفلاسفة على العموم ، وتصدي لناقشة ابي حامد في هذه  
المسائل الثلاث من جملة ما ناقشه فيه ، لكنني ألاحظ هنا ( على  
ما يقوله حجة الاسلام في خاتمة الكتاب ) ملاحظة صغيرة لا فاتت

---

(١) للدكتور زكي مبارك الاخلاق عند الغزالي ص ١٢١ رأيت  
سديد حول اختلاف آراء الغزالي في كتبه باختلاف سنه وصحته : «قد  
وضع مؤلفاته في ظروف مختلفة ، كان في بعضها يحكم العقل والشرع ،  
وكان في بعضها يسائر الصونية في اوهامهم ووساوسهم . والرجل في  
الواقع معذور ، فقد كان يؤلف في اوقات لا تصلح مطلقا للتأليف ،  
لانه يشترط في المؤلف ما يشترط في القاضي من الصحة وهدوء البال .»

ابن رشد على ما يظهر، وهي ان الغزالي يصرح بأن هذا «النقط الثالث» تجر الى الكفر لانه لم يعتقدوا احد من فرق المسلمين، بخلاف النقط الاولى «السبعة عشر» فقد قال بها بعض المذاهب الاسلامية.

فمعنى هذا ان كل فكرة لم يرها مذهب من مذاهب الاسلام فهي غلط بل كفر ومعتقدا كذب الانبياء «ومثل ذلك الاصول الثلاثة».

كما ان كل فكرة تقدم لفرقة من فرق الإسلام ان اعتقدتها «او اعتقدت ما يقاربها» فليست بكفر، وانما صاحبها من اهل البدع «ومثل ذلك: المسائل السبعة عشر».

فهذا حكم جريف لا يتفق والمنطق!

وفي «المنقذ من الضلال» فصل كذلك في تكفير الفلاسفة وذكر اصنافهم «من ص ١٠ الى ص ٢٠»

☆☆☆

ينقل الاستاذ لطفى جمعه، في كتابه تاريخ فلاسفة الاسلام ص ١٧٣، ان القاضي ابن رشد قال عند فحصه لكتب الغزالي: «... ثم قال (اي الغزالي) في كتابه «جواهر القرآن» ان

الذي اثبتته في كتاب تهافت الفلاسفة هي اقاويل جدلية ، وان الحق انما اثبتنا في ( المضمون بها على غير اهلها ) . غير ان الاستاذ جمعنا لم يشر الى الصفحة التي نقل منها عن ابن رشد هذا التصريح المهم للغزالي .

وقد رجعت الى كتاب جواهر القراءان بالنسخة العربية ( الطبعة الثانية سنة - ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣ م بالمطبعة الرحمانية ) فلم اعثر على نفس هذا التصريح باللفظ ، ولكن وجدت فقرتين تشيران الى ما يقرب من هذا المعنى :

الفقرة الاولى « ص ٢١ » يقول أبو حامد :

« ... والثاني هو محاجة الكفار ومجادلتهم ، ومنه يتشعب علم الكلام المقصود لرد الضلالات والبدع وإزالة الشبهات ، ويتكفل به المتكلمون ، وهذا العلم قد شرحنالاعلى طبقتين ، سميينا الطبقة القريبة منها الرسالة القدسية ، والطبقة التي فوقها الاقتصاد في الاعتقاد ، ومقصود هذا العلم حراسة عقيدة الدوام عن تشويش المبتدعة ، ولا يكون هذا العلم ميلا بكشف الحقائق ، وبجنسه يتعلق الكتاب الذي صنفنا في تهافت الفلاسفة »

الفقرة الثانية « ص ٢٤ » يقول :

« ... ويتلوا في الشرف علم الآخرة ، وهو علم المعاد ، كما ذكرنا في الاقسام الثلاثة ، وهو متصل بعلم المعرفة ، وحقيقته معرفة نسبة العبد الى الله تعالى عند تحققه بالمعرفة ، أو مصير لا محجوب بالجهل ، وهذه العلوم أربعة : أعنى علم الذات والصفات والافعال ، وعلم المعاد أو دعنا من أوائله ومجماعه القدر الذي رزقنا منه ، مع قصر العمر وكثرة الشواغل والآفات ، بعض التصانيف لكننا لم نظهره ، فإنه يكل عنه أكثر الافهام ويستضر به الضعفاء ، وهم أكثر المترسمين بالعلم ، بل لا يصح إظهاره إلا على من اتقن علم الظاهر وسلك في قمع الصفات المذمومة من النفس ، وطرق المجادلة حتى ارتاضت نفسه واستقامت على سواء السبيل . فلم يبق له حظ في الدنيا ولم يبق له طلب إلا الحق ، ورزق مع ذلك فطنة ، وقادة ، وقريحة منقادة ، وذكاء بليغا ، وفهما صافيا . وحرام على من يقع الكتاب بيده ان يظهره الا على من استجمع هذه الصفات ... » .

في الفقرة الاولى تصرّيح بالتهافت . وبأن قصد الغزالي  
محاجة الكفار ومجادلتهم

وبالثانية تلويح بمصنف من مصنفات الغزالي يظهر لي من

خلاله ان الكتاب المشار اليه هو المضمون به على غير أهله  
[الأكبر]. اما على حسب رواية صاحب كتاب تاريخ فلاسفة  
الاسلام فابن رشد يصرح بالمضمون به على غير أهله ، ويرجع  
كذلك مصحح «جواهر القراءن» للطبعة ، الرحمانية ، ان يكون  
ذاك المصنف هو المضمون ، يقول في الفهرس ملخصا للفصل  
[ص ١٦٩ رقم ١٨]:

« الفصل الرابع في كيفية انشعاب العلوم الدينية كلها من  
الاقسام العشرة ... ويذكر شروط أهلية الطالب لمطالعة هذا  
الكتاب ، ولعله يسمى المضمون به على غير أهله »

\*

\* \*

لفيلسوف الاندلس ابن الطفيل تصريح مهم حول هذا  
الموضوع في رسالة حى بن يقظان [ص ١٠ ، النسخة العربية  
الفرنسية ، طبعة بيروت لليون جوتى Léon Gautier الطبعة  
الثانية]: « .. وكتب أبى حامد ، فهو يحسب مخاطبته للجدهور  
يربط في موضع ويحل في آخر ، ويكفر باشياء ثم يستحلها ،  
ثم إنه من جملة ما كفر به الفلاسفة ، في كتاب التهافت ، إنكارهم  
لحشر الاجساد وإثباتهم الشراب والعقاب للنفوس



خاصة (١) ثم قال في أول كتاب الميزان : إن هذا الاعتقاد هو اعتقاد شيوخ الصوفية على القطع . ثم قال في كتاب المنقذ من الضلال والمفصح بالاحوال : ان اعتقاد لا كاعتقاد الصوفية ، وأن أمره إنما وقف على ذلك بعد طول البحث . وفي كتبه من هذا النوع كثير يراه من تصفحها وأمعن النظر فيها وقد اعتذر عن هذا الفعل في آخر كتاب ميزان العمل (٢) ، حيث وصف أن الرأي ثلاثة أقسام :

أ [ رأي يشارك فيه الجمهور فيما هم عليه

ب [ ورأي يكون بحسب ما يخاطب به كل سائل مسترشد ،

ج [ ورأي يكون بين الانسان وبين نفسه لا يطلع عليه

(١) ولابن رشد [ ص ١٠٠ ، كتاب فصل المقال طبعة ١٣١٧ ] :  
« ( فان قلت ) : وإذا لم يجب التكفير بخرق الاجماع في التأويل ، إذ لا يتصور في ذلك إجماع ، فما تقول في الفلاسفة من أهل الاسلام كابى نصر وابن سينا ، فإن أبا حامد قد قطع بتكفيرهما في كتابه المعروف بالتهافت في ثلاث مسائل : في القول بقدم العالم ، وبأنه تعالى لا يعلم الجزئيات ، وفي تأويل ما جاء في حشر الاجساد وأحوال المعاد ؟ [ قلنا ] :  
الظاهر من قوله في ذلك أنه ليس تكفيراً بإياها في ذلك قطعاً ، إذ قد صرح في كتاب التفرقة ان التكفير بخرق الاجماع فيه احتمال .»

(٢) ميزان العمل يقع في ٢٠٠ ص [ تقريباً ] من الحجم الصغير وهو شبه تلخيص لكتاب إحياء علوم الدين .

الامن هو شريكه في اعتقاده ... » .

مرحى مرحى لابي بكر بن الطفيل ، انه وأيم الحق قد قال الحق ، فاحسن تلخيص لدراسته آثار الغزالي قد تضمنتها هذا الجمل ، وهي وحدها كافية لان ترسل أشعته على الموضوع . ومن الذين لاحظوا كذلك على الغزالي تناقضه الامام ابن تيمية ، وقد اثبت ان أبا حامد تشكك في مذهب الصوفية في آخر عمره ، فأعرض عن تلك المبادئ وانكب على دراستها الحديث عليه يجد فيه ضالتها . لكننا وبالإسف لم يكتب شيئاً حول هذا الطور الأخير من حياته ، والحل الأخير لبحثه عن الحقيقة .

☆☆☆

ان الغزالي متشكك ، ومن هنا كثرة تناقضه ، ومن ناحية

---

أخرى فيلسوف يخاف من الفكر العام ، وهذه الظاهرة تتجلى

---

حتى ، في كتاب المنقذ من الضلال الذي يصرح فيه ، بملء شذقيه

---

أنه نمت التفلسف ويستعين بالله وببركة التصوف من شر الفلاسفة ،

---

يظهر لا [ المنقذ ] فيلسوفا [ بالرغم منها ] لان نفس هذا المصنف

---

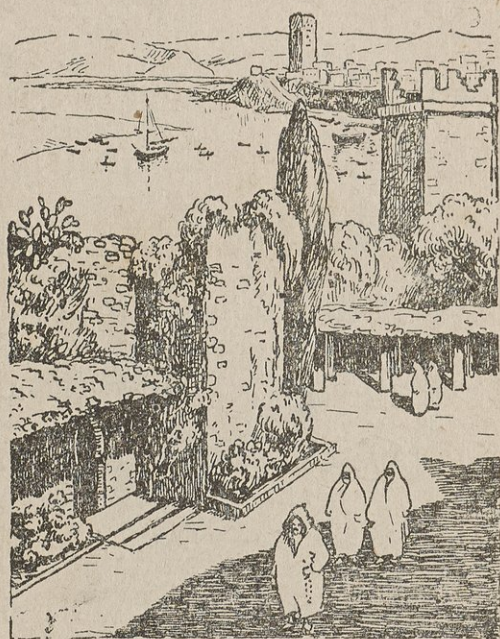
نفس فلسفي ، حتى إن ما فيه من ( تصوف ) فمن تأثير مزدوج من

---

الدين والفلسفة ( ١ ) .

---

( ١ ) ارجع الى فصل « على هامش الكتب الفلسفية »



# الغزالي ومخاطرة باسكال

نشر ميكل أسين Miguel Asin (١) دراسة ممتعة عن الذين سبقوا باسكال (٢) في مسألة (المخاطرة)، وأعطى للغزالي المرتبة الأولى.

إننا نعرف هذه المسألة الذائعة الصيت التي أحدثت ضجة في أيامنا، فقام ضدها كثير من مفكرينا من بينهم سيلى بريدوم، (٣) وهي: يمكن ان يكون الدين تماما غير صحيح، لكن اذا كان صحيحا ولم نتبعه فإننا نتعرض لهلاك أبدي كالحلود في جهنم، مع ان الدين لا يحذرنا الا من لذات محدودة في هذه الحياة، فالبصيرة ترشدنا إذن إلى التخلي عن ملاذ فانية للتحري من آلام خالدة، كيفما كان مقدار الضعف في حجج الدين، على شرط الا تكون في أقل درجة من الضعف (٣).

(١) مستشرق إسباني معاصر.

(٢) انظر الكلام عليه في آخر الفصل.

(٣) يأتي التعليل على هذا في آخر الفصل.

ان هذا القياس يوجد بالفقرات التي أتى بها (أسين) في عاطفة  
لا تقل كثيرا عن حدة الشرح الهندسي .

ونحن لانجهل ان المفكرين كانوا في زمن بامسكال يعملون على  
اكتشاف (Le calcul différentiel) : عملية التغيرات الصغيرة التي  
تحصل في الاعداد)، وان مسألة الاعتبار في اللانهاية (١) في الكبير  
والصغير كانت ذات حظ مهم فيما كان يعتري فكر هذا العبقرى  
من تشويش واضطراب في الناحية الدينية .

كان الغزالي يخصص بقياسه الأطباء وعلماء الطبيعة الماديين  
الذين ربما احتفظوا ببقية الشك في إنكارهم ونفيهم ، قال  
(مامعنا لا بياجال) :

إذا كان عندهم شك ، فيكفيهم هذا الريب البسيط ايزهدوا  
في هذا العالم ، فلنفرض أن رجلا وجد طعاما لذيذا ، لكنه خطر  
بباله اذ ذاك انه يمكن ان يكون مسموما أو أن حبة قدمسته بلسانها،  
فإنه يقينا يمتنع عن الاكل منه ليصون نفسه من خطر الموت ، وفي  
نفس الوقت لا يحرمها الا من الذة ضئيلة ، فكيف يمكن الإنسان  
العاقل ان يتردد لحظة أمام احتمال وجود نار خالدة؟ فهلا كان

١ انظر فصل اللانهاية .

٢ انظر (Le Pari (Pensées et opuscules)

هنا للاحتمال الصرف مالم يقين ؟ قال ابو العلاء مشيراً الى  
هذا القياس :

« قال المنجم والطبيب كلاهما : ❀ لا تبعث الاموات ، قلت : اليكما ،  
ان صح قولكما ، فليست بخامر (١) ، ❀ أو صح قولى ، فالخسار عليكما .  
( انظر كتاب احياء علوم الدين ، ج ٤ ص ٤٣ ، وكتاب الاربعين  
- للغزالي أيضا - ) .

انتهى كلام (م كارا) .

## تعاليق

(١)

(٢) باسكال Blaise Pascal (١٦٦٢ - ١٦٢٣) رياضى

كبير وفيلسوف فرنسى .

لمجموعة رسائله (Les Provinciales) التي يناضل فيها عن

(الجانسينيست Jansénistes) ضد اليسوعيين (Les Jésuites)

شهرة كبيرة .

(١) انظر التعليق على هذا في اواخر الفصل .

اتبع أولا مذهب ديكارت ، وكان يفرق بين الايمان وبين العقل ، ويجذب الناحية الفكرية ، ثم تشيع لمبدأ (بور رويال) (Port-Royal) أي لمذهب الجانسينيست ، فأوجد بابا للشك ، واصبح يرى أن الطبيعة الانسانية قبيحة ، وان العقل يقود للوبل إذا لم يوفق بالهام خارجي وإغاثة إلهية (La grâce).

تقول أختها (جيلبيرت Gilberte) إنها اكتشف - دون أن يستعين بأي كتاب - الامس الأولى في هندسة أقليدس ، ولم يكن سنه إذ ذاك يتعدى الثانية عشر . وفي السادسة عشر من عمره كتب مصنفًا في حل بعض المشكلات العويصة في هذا العلم ، الشيء الذي نال به إعجاب اكبر المفكرين الفرنسيين في عصره وعند الثامنة عشر اخترع آلة تحسب بنفسها . وله اكتشافات مفيدة في الطبيعيات .

طبع بعد وفاته مصنف صغير ديني فلسفي ، يعد من أحسن ما كتب في الآداب الفرنسية ، تحت اسم (الافكار) (Pensées et opuscules) وفي هذا المصنف توجد (المخاطرة) .

\*

\* \*

( ٢ )

٢) بریدوم Sully Prudhomme ولدومات بیارینز ١٩٠٧  
- ١٨٣٩). شاعر مبدع، يعد من زعماء المدرستة البرنامیة  
( L'école parnassienne ) ویمتاز أسلوبه بدقتة غریبته فی وصف  
الخلجات النفسیة، وبشعره أحيانا كدر ولكنه كدر خال من المرارة.  
وها عنواوين بعض قطعه المشهورة : العدل والسعادة ( من  
الشعر الفلسفی ) ، الاختبارات والقصائد ( من الشعر الوجدانی ) .  
وترجم له الدكتور طه حسین بعض القطع فی كتابه ( حافظ  
وشوقی ) وهي كافية لان تعطى صورة عن فن الرجل .  
وتدور فلسفته حول تصادم الفكر مع العواطف .

\*

\* \*

( ٣ )

٣) ومثل هذا الاحتجاج ( تقریبا بالحرف ) یأتی به الغزالی فی  
كتاب ( المنقذ من الضلال ) ، قال :

« ... فیانی تتبعت آحاد الخلق أسأل من یقصر منهم فی متابعة

الشرع ) وهؤلاء هم الذین یسمیهم باسكال فی كتابه الافكار ب : Les

( Libertins ) ، وأسأل عن شبهتهم ، وأبحث عن عقیدتها وسر لا

وقلت له : مالک تقصر فیها ؟ فإن كنت تؤمن بالآخرة ولست



تستعد لها وتبيعهها بالدنيا ، فهذا حماقة ، فإنك لا تتبع الاثنين  
بواحد ، فكيف تتبع ما لانهاية له بأيام معدودة؟ ...» .

وللمسيو كارا ملاحظة على هذا النوع من (المخاطرة) أو  
الإيمان خوفا من العقوبات :

« يظهر لي أن أهم اعتراض يمكن أن يوجه الى هذا الحجج ،  
هو أنه إذا اعتنق المرء ديننا خوفا من العقوبات ، فليس ذلك في  
الحقيقة بإيمان ، ثم إذا كانت هناك أديان متعددة ، وكان الاحتمال  
فيها يقبل الصحة ، فيجب أن تتبع منها الدين الذي يندرنا  
بالعقوبات الصارمة ، وهذه عملية من قبيل العمليات التجارية » .

\*

\* \*

( ٤ )

( ٤ ) وأشار إلى هذا المعنى نفسه البوصيري في البردلة ( أي  
إلى تجميد الآخرة على الدنيا ، بيد أن البوصيري يتكلم بعاطفة  
المؤمن المتيقن بوجود آخرة ونعيم خالد ، والمتخوف من العقاب  
والخسارة الدائمة :

« فباخسارة نفسى في تجارتها ❀

لم تشتتر الدين بالدنيا ولم تسم ❀

ومن يبع أجلا منها بعاجلها ❀ بين له الغبن في بيع وفي سلم .  
على أن القراءان الكريم قد سبق كلا من الغزالي، وباسكال،  
والبصيري، والمعري ، قال الله تعالى :

« وقال رجل مومن من آل فرعون يكتم إيمانه : أتقتلون  
رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ! وان يك  
كاذبا فعليه كذبه ، وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم .  
( الآية ٢٨ ، الحزب ٤٧ سورة حم غافر الذنب ) .

وجاء في الانجيل ( إنجيل متى ، الإصحاح الثالث عشر  
( ٤٤ - ٤٦ ) صورة ترمز إلى هذا المعنى :

٤٤ ، « أيضا يشبه ملكوت السماوات كنزا مخفي في حقل  
وجداه إنسان فأخفاه ، ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له  
واشترى ذلك الحقل . ( ١ )

٤٥ ، أيضا يشبه ملكوت السماوات إنسانا تاجرا يطلب لآلى حسنة  
٤٦ ، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل  
ما كان له واشترىها . ( ١ )



١ ° هذا الحقل وهذه اللؤلؤة هما الآخرة كما يظهر . على أنى لا يريد  
أن أثبت هنا بهذه المقارنات أن فكرة المخاطرة معادة تماما ، وإنما أحاول  
أن أظهر ما في جميعها من شبه . وللمقاريء ان يوازن بينها .

ونلاحظ هنا ان المعري وباسكال متفقان على طول الخط،  
مع اعتبار المعري من اللاأدرية، أو حملاً لشعره على انه تعبير عن  
خطرات ساعة، شأن السوداوى .

كما الأخط أيضاً ان المعري اقل هدوء في تفكيره وارتبابه  
لانه متشكك - من الغزالي وباسكال لانهما مومنان .

\*

\* \*

وهناك من جهة اخرى فرق دقيق بين مخاطرة باسكال  
واحتجاج الغزالي على منكري الدين، فمذهب باسكال لا يكفي  
في الدين، لان الايمان لا بد فيه من العقد الجازم، فانتقاد مكارا  
( في تعليقه ) لا ينطبق تماماً على مخاطرة الغزالي بقدر ما يصيب  
الهدف فيما يخص مخاطرة باسكال، لان ابا حامد يقرر بحجته  
الجدلية، ان في الدين السلامة من الخطر الاخروي على وجه محقق،  
فتكون على هذا نظريته تفسيراً لقول الرجل من آل فرعون  
( في الاية ) .



# اللانهاية

(١)

إيضاح جبري :

أ) إن الأعداد لانهاية من حيث الكبر :

إذا قلت إن فلانا يملك مليارا من الدولار فهذا أكبر رأس مالى ، (١) أجيبك بأن الشركة الفلانية تملك مليارين ، فهي إذن أغنى منها .

ولكن ، هل ملياران هو أكبر عدد موجود ؟

لا ، طبعاً ، لأن البحر الابيض المتوسط يحتوي على عدد أكبر من مليارين من المياتر المكعبة من الماء ، وأكبر من هذا عدد مياتر المحيط الاطلانطيكي .

ويجب الانتف هنا ، فأكبر من مياتر ماء المحيط الهادي عدد ذرات هذا الماء .

على هذا النحو نجد لكل عدد كبير عدداً أكبر منه ، وان

كل عدد مهما عظم قابل لان يضم لآخر كبير أو صغير فيكون العدد الناتج اكبر من العددين المضمومين، وهلم جرا، فالعدد الآتي:

2,014,000,600

عدد كبير، لكن إذا أضفنا له واحداً مثلاً صار العدد الثاني

اكبر من الاول:

2,014,000,601

نتيجة أولى:

لا يوجد أي عدد أكبر يبلغ اللانهاية في الكبير.

\*

\* \*

(ب) إن الأعداد لانهاية من حيث الصغر.

نتساءل الآن: ماهو اصغر عدد؟

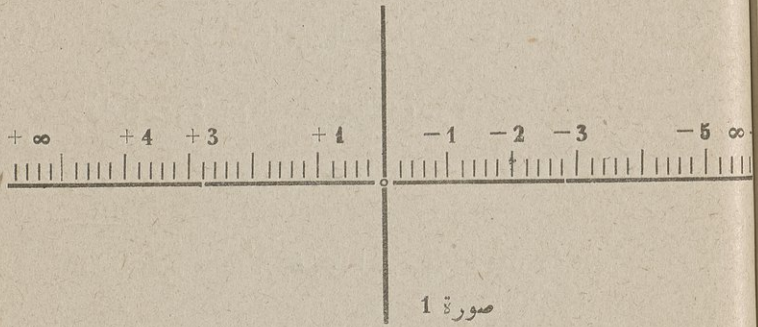
أول ما يتبادر للذهن هو السفر، بيد أن المثال الآتي يفهمنا غير ذلك

لك ٥ فرنكات،

نحن ثلاثة } أما أنا فليس لي شيء وليس لغيري على شيء،

وثالثنا مدين لآخر بفرنكات ١٣.

أنت أغنانا ،  
 ويملك في الغنى من لاله ولا عليه (أي أنا صاحب السفر)،  
 وأقلنا طبعا من هو ملزم بتأدية ما عليه (أي ١٣) .  
 فالحد إذن بين من يملك فرنكا واحدا ومن هو غريم بفرنك،  
 من لا يملك شيئا وليس بدمته شيء ، كما يتضح في (الصورة ١) :



تسمى ما هو ملكك عددا موجبا ،

ونلاحظ ان الاعداد الموجبة توجد على يسرة السفر ، (وهي  
 في الصورة 1 + و 3 + و 4 + ) ، وقد سبقت بعلامة الايجاب (+) .  
 ونسمى الاعداد الاخرى التي هي دين عليك بالاعداد السلبية ،  
 ونلاحظ ان الاعداد السلبية على يمنة السفر (لانها اصغر منه) ،  
 وهي في هذه الصورة (-٥) و (-٣) و (-٢) و (-١) ، وانها مسبوقة  
 بعلامة السلب (-) .

ملاحظة عامة :

كل عدد قارب السفر فهو اكبر من الاعداد التي على يمينه ،

فـ ( ١ - ) أكبر من ( ٣ - ) و ( ٣ - ) أكبر من ( ٥ - ) .

فما هو أصغر عدد إذن ؟

إن ( ١٣ - ) أصغر من ( ١ + ) بل أصغر حتى من ( ١ - ) لأن

( ١٣ - ) أبعد من ( ١ - ) من السفر .

فيإذا كانت شركتة مدينمة بما قدره :

٣٠٢١ ، ٢٠٠٠ ، ٧٠٠

فهي أغنى من الأخرى المدينمة بما قدره :

٣ ، ٢١ ، ٢٠٠٠ ، ٧٠١

فالعدد الثاني أصغر من الاول لاننا زدنا ( ١ - ) على الاول .

وعلى هذا النحو ، إذا زدنا على أي عدد سالب عددا سلبيا

، اخر ، صغيراً كان أم كبيراً ، فإن العدد الناتج عن عملية الضم أصغر

من العددين المضمومين ، وهلم جرا .

نتيجة ثانية :

إنه لا يوجد عدد أصغر يبلغ اللانهاية في الصفر .

نتيجة عامة :



الاعداد لانهاية من حيث الكبر والصغر

يرمز لللانهاية بالعلامة الآتية  $\infty$  مصحوبة بعلامة الايجاب  
والسلب على حسب الحالة (انظر الصورة ١)

(٢)

## تطبيق من القرآن العظيم

يظهر لي أنه يوجد مثال في القرآن العظيم لللانهاية في  
حالتى الايجاب والسلب .

قال تعالى :

« يوم يقول لجهنم : هل امتلأت ؟

وتقول : هل من مزيد ؟ » (١)

إن المتكلم يضع لجهنم هذا السؤال بعد أن يلاحظ ان عدد  
المعدين قد بلغ ( في نظرنا ) الرقم القياسى ، أي اكبر عدد ممكن ،  
بيد ان السعير يحيب : هل من مزيد ؟ ومن يذفيه تنكير للتعميم ؛  
فجهنم لم تحدد عدداً صغيراً أو كبيراً ، فهي تشعرنا بأنها  
ما تزال فاتحة بابها على مصراعيه لقبول الزيادة ، مهما عظمت هذا

(١) وجاء في حديث (ساقه الامام ابن تيمية في العقيدة الواسطية  
ص ١٧ ، المطبعة السلفية ١٣٣٤ هـ) ان رسول الله صلعم قال : « لا تزال  
جهنم يلقى فيها وهي تقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها  
رجله وفي رواية - عليها قدمه - فينزوي بعضها إلى بعض ، فتقول : قط ، قط . »

أو صغرت ، فهذا هو اللانهاية

لكن هل ياترى هذه اللانهاية ايجابية أم سلبية؟

انها ايجابية (بالنسبة لجهنم) طبعاً مادام مجموع أعدادها فوق

السفر ، يعنى أنها تقبل أفر اذا وعددهم ايجابي .

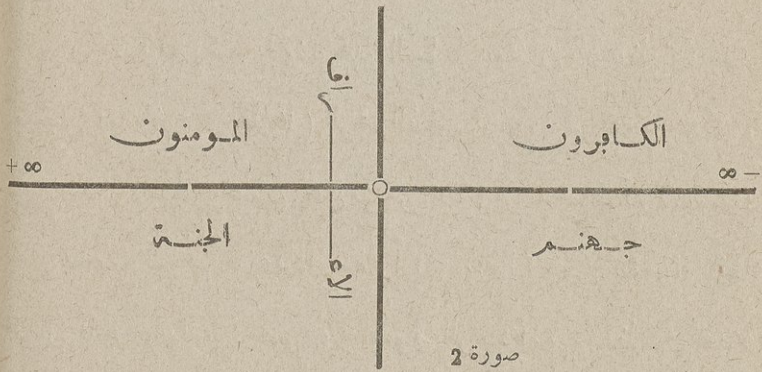
فلنجعل الآن رمزا للجنة والنار ، على الشكل الذي يتبع

في الحساب : فجهة السلب هي جهنم (لانها مقر الخاسرين ، فكل كافر سلبي بالنسبة لنفسه . ومن هنا اعتبارنا لوجود السلب) .

ونجد بين الرابع والخامس مقر من لاله ولا عليه ، أي السفر

(في الجبر) يعنى (الاعراف) (١) في مثالنا ، لانه الحد الفاصل بين

الجنة والنار ( انظر الصورة ٢ ) :



(١) انظر سورة الاعراف : الآية ٤٨

والاعراف سور بين الجنة والنار . وعوضاً من الاعراف يمكننا ان

نجعل في الصورة الصراط ، فهو ، كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية

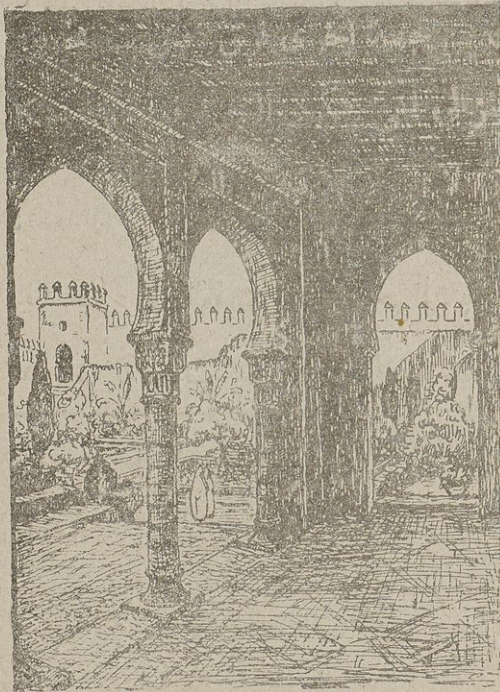
في العقيدة الواسطية « ص ٢٤ » : « الحسر الذي بين الجنة والنار » .

لستنتج أن هذا الآية قد أشارت إلى اللانهاية، ومن ناحية

أخرى قد احتوت على الإيجاب والسلب، كل ذلك في بضع

كلمات لا أقل ولا أكثر. فما أكثر نواحي إعجاز القرآن، وما

أعجز البشر عن أن ياتوا بمثله.



رأى الدكتور ساشو Ed. Sachou

في أبي حامد

لقد جاء في مقدمة لتاريخ البيروني<sup>(١)</sup> بقلم الدكتور ماشو -  
بعد كلام كلبه إعجاب بالمؤلف ، وهو إعجاب لعمري في محله -  
حكم قاس على الغزالي :

« قد شاهد القرن الرابع<sup>(٢)</sup> انقلابا في تاريخ التفكير  
الإسلامي : فالرجوع الى العقيدة السنية حوالى عام ٥٠٠ قد  
ختم الى الابد سبيل البحوث الحرة ؛ فلولا الاشعري ، ولولا  
الغزالي ، لكانت الامت العربية أمتا أمثال (غاليلي Galilée)  
و ( كيبلير Kepler ) و ( نيوتن Newton ) .

(١) أبو الريحان محمد بن محمد البيروني المتوفى سنة ٤٢٩ [ويقول  
صاحب الاعلام سنة ٤٤٠ ، وياقوت سنة ٤٣٠ ] ه . وهو رياضي  
وفيلسوف ورحالة عربي .

(٢) بل القرن الخامس . لان أبا حامد لم يزد الا سنة ٤٥٠ .

انتهى ماروالام كارا عن الدكتور ماشو .

\*

\* \*

Galilée غاليلي (١٦٤٢ - ١٥٦٤) عالم إيطالي ، طبيعي

وحيسوبي ومنجم .

اخترع آلات في الفيزيقي والتنجيم ، كميزان الحرارة ،  
والنظارة التنجيمية Lunette astronomique التي أعانتها على  
اكتشافات مفيدة .

وهو زعيم النظرية : « إن الارض تدور حولي كالسيارات  
الآخري » ، هذه النظرية التي جرت عليها محاربة فعالة من  
الكنيسة ومن أصحاب المدرسة التقليدية الجدلية .

☆☆☆

أما كيبلير Jean kepler [١٦٣٠ - ١٥٧١] فعالم ألماني .

تعاطى منذ صبلا دراسة الرياضيات . وقضى طرفا من عمره في  
وظيفة منجم الامبراطور (رودولف) الثاني .

وله نظريات في المريخ .

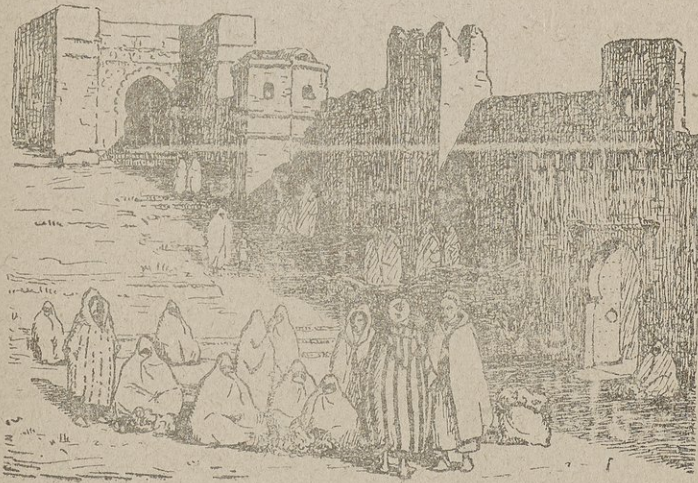
أهم كتبه : التنجيم الجديد (ظهر سنة ١٦٠٩) .

☆☆☆

ونيوطن Isaac Newton (١٧٢٧ - ١٦٤٢) عالم انجليزي،

طبيعي ومنجم وفيلسوف .

وله في الحساب والفيزيقي اكتشافات مهمة، على رأسها  
قانون التجاذب العام، او ميل الاجرام بعضها الى بعض  
La gravitation universelle، وهذا القانون يعد بحق الحجر  
الاساسي للعلوم الطبيعية الفيزيقيية.



# دحض الراي المتقدم دفاع م كارا عن الغزالي

لاندرى كيف نعلق على حكم الدكتور ساشو. إننا لانعرف  
عن احوال انتاج العبقرية الا شيئاً نزرأ. ومن ناحية اخرى ،  
يجب ان نعتقد انه لو وجدت عبقرية إسلامية من طراز غليلي  
ونيوطن ، لكانت لها القوة الكافية على خرق نفوذ الدين ،  
مهما عظمت سلطته على الجمهور. (١)

(١) وقد وجدت بالفعل شخصيات ، من بينهم ابن خلدون مؤسس  
علم الاجتماع ، والادريسي الجغرافي الشهير ، وأبو حسن علي المراكشي  
المنجم الكبير الذي أصلح أغلاط بطليموس [ وأكتفى بهؤلاء المغاربة على  
سيميل المثال ، ففي كثير من الشعوب الاسلامية وجدت أدمغة حيارة ].  
ثم إن الدين الاسلامي لم يقف في طريق البحوث العلمية القحة في يوم  
ما ، بل على العكس راحت وانتشرت البحوث الحرة بفضل تشجيعاتها  
وتسامحه وحضه على البحث [ انظر فصل : تسامح الخلفاء ، وفصل ماهو  
أصل علم الكلام ] .

ثم إن انتصار الغزالي لم يتم لان ابن رشد قد حاربه ، كما حاربه الكثير من المؤلفين الارتيايين الذين اتوا بعدة زد على هذا انه لم يصل إلى إيقافِ نهائى لمناقشات عام الكلام .  
ولقد شعر الفكر الإنسانى بالشرق [ قاطبا تقريبا ] باحتياجه الى الانزواء تحت عقيدة ثابتة ، [ وقد شعر الغرب فى نفس الوقت بمثل هذا الاحتياج ] .

لماذا اذن أخذ النمو الفكرى يضعف بالشرق ؟ إن هذا شىء غامض ولا يمكننا ان نعزوا الى مجرد تأثير مفكر او مفكرين ! انه ليرجع من ناحية إلى شبه ملل فى الذريرة ، ومن اخرى الى أسباب سيمامية . ويجب ان نلاحظ ان المارقين من الدين انفسهم كانوا يشعرون بالاحتياج الى السلطة ، مادام ابن رشد الذى ينظر اليه كخارج عن السنة يحترم سلطة ارسطو احتراماً لم يعرف قبلاً .

وكانت بالغرب كذلك السلطة على الناحية العلمية اقوى صرامة منها فى غير ذلك العهد ، وفى الوقت نفسه كان النفوذ الدينى يزداد توطدا ، حتى اذا ظهر غليلي وديكارت وجدا انفسهما مضطرين لال إلى مقاومة الاطنائين الدينية فيحسب ، بل إلى ان يناضلا



حتى ضد الطرق المتبعة إذ ذاك في البحث العلمي التي كانت  
الكنييسة تفرضها فرضا ، فمسألة السلطة كانت إذ ذاك تقريبا  
عامّة بالعالم ، بيد ان المضادة التي انتشرت بالغرب ضد هذه  
السلطة ايام النهضة ثم زمن الثورة<sup>(١)</sup> لم تجد صداها في الشرق  
الا في ايامنا هذه .

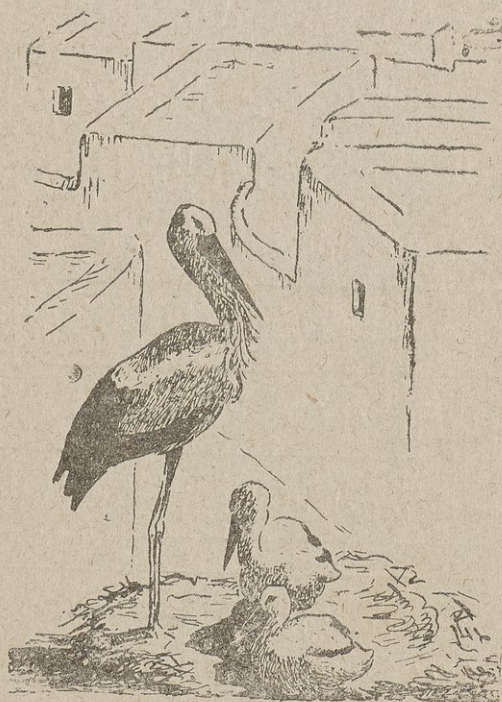
ومهما يكن من شيء فإننا لانستطيع ان ننكر عظمة الغزالي  
حقا ، لم يكن فكرا متجها اتجاها علميا صرفا ، بل كان بالخاص  
فكرا ميالا الى علم الأخلاق والى الدين ، وقد اشعرنا الى انه  
كان مجددا في كثير من النواحي في هذا الضرب من المعرفة ،  
وانه اكثر تجديدا في الجملة من خصميه ابن سينا وابن رشد  
وقبل ان يحارب ابو حامد الفلاسفة قام بهجمات ضد

إفراطات المدرسة الجدلية التقليدية ، وضد سوء استعمال العقل  
مطلقا ، وحتى ضد اصحاب السلطة الفكرية . فلقد بحث عن  
حدود العقل وأوما بدون ادنى التماس الى موقف اصحاب السلطة

(١) يظهر انه يقصد النهضة الاوربية [التي بدأت بالانبعث الايطالي في  
القرن ١٤] والثورة الفرنسية التي بدأت في سنة ١٧٨٩ .

من الإيمان ، وكان أخلاقيا وذا درايمة بالتحليلات ، عالما بعلم  
النفس ، ويمكننا ان نعدلا من الطراز الحديث فيها ، وقد قدم  
علم النفس على الجدل او القياس المنطقي

واذا زدنا على هذا طهارة نفسه ، ووقار حياتها ، واتساع  
خدماتها ، ولين طبعه ، وباعه الكبير في الكتابة ، فإننا لانرى  
بدا من ان نختتم بالتصريح بان الغزالي احد كبار ممثلي التفكير  
الانساني في القرون الوسطى



# الشك مبدا اليقين

الغزالي وديكارت

(١)

ديكارت (René Descartes ١٦٥٠ - ١٥٩٦) جيسوبى

وفيلسوف فرانسى يعد مؤسس المذهب العقلى فى العصر الحاضر.

تآليفه الفلسفية :

ا « حديث المنهج <sup>(١)</sup> Discours de la méthode

ب « كتاب التأملات فيما وراء الطبيعة Méditations métaphysiques

ج « كتاب الانسان Traité de l'homme

د « حديث الشهوات Traité des passions

وله مؤلفات اخرى فى الرياضيات ، وقد لاءم بين العمليات

(١) وعليه نعتمد فى دراسة الشك عند ديكارت ، وهو أشهر كتبها

وإن لم يكن أهمها .

الجبرية وعلم الميكانيك وعلم الهندسة .

فلسفتي :

اساسها الشك في كل شيء حتى في حواسها وملكاتنا، ومن الشك يصعد الى الحقيقة . بدأ بقطع كل حبل يصلنا بما وصلت اليه معرفة الانسان ، غير معتمد على شيء آخر غير الفكر والاتساع ( L'étendue ) فكان يقول : « اعطوني اتساعا وحر كة ابن لكم العالم » وبما انه وضع اساس فلسفة جديدة ، رأى من الواجب ان يحدد قواعد جديدة للبحث ، فكتب « حديث المنهج » حيث بسط هاته القوانين الاربعة للتفكير :

١ « الا اقبل ابدا صحة اي شيء ، الا اذا اتضح لي بديهيها انها صحيحة .

٢ « ان اقسام - الى اكثر ما يمكن من الاجزاء - كل صعوبة من الصعوبات التي اتناولها بالبحث حتى يتسنى لي تحليلها على احسن طريق .

٣ « ان اسوق افكاري بنظام ، بادئا بالمسائل البسيطة السهلة ، لأرتفع شيئاً فشيئاً الى ادراك ماهو اكثر منها تعقيدا وتركيبا ، وان افرض ترتيبا حتى بين الاشياء التي ليس بينها

تالبع طبيعى .

٤ « أن أجعل في كل شيء تقسيمات تامة، وأن التى نظرات

من إامة متكررة حتى أتيقن انى لم اغفل اي شيء . »

هذا ملخص تلك القوانين التى تعد بدعة في تاريخ الفلسفة

اقرن السادس عشر؛ فلنلق عليها نظراً قصيرة:

القانون الاول يعطى للعقل حرية نافعة في الناحية العالمية،

يدفع الفيلسوف الى الخروج من تقليد ارسطو المطلق ومن

لاقياد لا يحاء العواطف وتأثير الخيال، فليس هناك من واضح

درك عن طريق الحواس، وانما الواضح ما ادرك العقل وضوحه.

على ان في هذا الاستقلال المطلق للعقل افراطا: ان

وضوح لا يوجد في كل اصناف المعرفة، فعلى هذا كلما انعدم

وضوح حصل الارتفاع، ومن هنا نصبح سوفسطائيين نرتاب

في [التاريخ] وفي [ما وراء الطبيعة] مثلاً، لانهما علمان لا يخضعان

لقانون الوضوح، [وهذا يتناقض مع نتيجة الشك عند ديكارت

نفسه كما سنرى]

اما القانون الثانى، فتقسيم الصعب هو اختبار كل حالة من

حالات المختلفة التى يمكن ان تطرأ على المشكلة التى نعمل

على حلها ، وفحص كل حالة على حدة كأنها مشكلة منفردة .  
فإذا كان بحثنا يدور حول اجرام او مواد ( كما في الهندسة  
والكيمياء مثلاً ) وجب علينا ان نهتم بكل جزء من الاجزاء على حدته .  
ان ديكارت يعطينا في هذا القانون قاعدة الاختبار لا قانونا  
للبحث كالقانون الاول .

اما القانون الثالث فيحضنا على ان نبدأ بالسهل البسيط  
ومن ثم ننتقل الى المركب ، فما هو اذن البسيط ؟  
هذا ما يجب عنده ديكارت في كتابه ( قواعد لقيادة الفكر  
Règles pour la direction de l'esprit ) بأنه هو الواضح الذي  
لا يمكن العقل ان يقسمه اقساميم اصغر .

نلاحظ انه لا يمكن ان نبدأ بالجزء ، إذ يجب ان نقوم اولاً  
بتفحص الكل لتعرف كيف نقسمه إلى اجزائه .

واما القانون الرابع فيطلب منا ان نتيقن بأننا لم نغفل شيئاً  
في بحثنا او تحليلنا .

والحقيقة ان هذا القاعدة تكملية للثالثة وطريقته للاختبار ،  
اكثر منها قانون .

\*

\* \*

## مذهب الشك عند الغزالي وديكارت:

شك الغزالي في صحة احكام الحواس (١) ، وعرض على  
الخصوص بأقواها وهي حاسة البصر : اتناحين ننظر الى الظل نحسبه  
واقفالا يتحرك ، ونحكم عليه بعدم الحركة ، مع ان هذا حكم يتناقض  
ونتايج التجربة ، فالحواس اذن بطبيعة تركيبها مصلة لا امان معها .  
ونرى كذلك ديكارت يتخوف من خداع الحواس : ان

الشيء الواحد يبعث الصور المختلفة في الظروف المتباينة ، الشيء  
الذي يجعلنا حائرين لاندرى ماهي الصورة المخالفة للواقع فنتجنبها ،  
وما هي الصورة المطابقة للواقع فنعتمد عليها .

ثم ينتقل الغزالي من شكهما في الآثار الحسية الى الشك في

احكام العقل : نرى ونعمل في النوم اموراً وكلنا اعتماد في

استقرارها ، حتى اذا استيقظنا علمنا انه لا اتصال واقعي بين  
اليقظة والنام فنبقى في حيرة ، لانه لا يبعد ان يطرأ على يقظتنا  
شيء يحولها الى وهم كما طرأت على المنام اليقظة فهدمته .

ويأتى كذلك ديكارت بمثال المنام واليقظة : يرى النائم فيما يرى  
كثيراً من الصور والوقائع لا يلبث ان يكذبها في يقظته ، فكيف

يمكننا ان نرجح صحة المنام على اليقظة او اليقظة على المنام،  
ونحن في محاکاتنا وتفضيلنا لانعمد الا على العقل - وهو بطبيعة  
تكوينه خادع غشاش - والعقل يعتمد على الحواس، وهي ايضا  
بطبيعة تركيبها تجرأ للخطأ، واننا لنتركب اغلاطاً ونعمد على  
اقيسة ضد المنطق حتى في الهندسة؟

\* \*

الى هنا يتفق الرجال، ومن هنا يفترقان، حيث ان الغزالي  
يصل بشكك الى السلب المطلق ويقف، اما صاحبنا الآخر  
فيستمر في طريق بحثه، فعلى السلب يبني الايجاب، ومن  
الشك يصل الى اليقين، كما يصرح بذلك هو نفسه: «كلامها  
شككت ازددت تفكيراً فازددت يقيناً.»

(٣)

### نتيجة ترتيبات ديكرت

(١) يقول: «اشك في كل شيء، ولا اسلم صحة اي شيء»

الا اذا اتضح لي وضوحاً جليلاً انه صحيح.»

لكن ديكرت مهما ارتاب في كل شيء، فإن ترتيبه لا يشمل



حقيقة واحداً ، حقيقة تصم العزيمة على الثبوت رغم عاصفة الشك  
وتيار الارتياب ، تلك هي وجود ( من يشك ) . فان ديكارت  
وان ارتاب في كل شيء ، حتى في وجوده ، فان هذا الشك  
لا يمكن ابداً ان يشمل (فكره) مادام التفكير ولو عن (طريق الشك)  
يثبت وجود (الفكر) .

فلا تصور ما شئت اني مخطيء او مصيب في الحسيات  
والجليات ، ولا افرض ان العالم الخارجى غير موجود البتة ،  
لكننى ارى نفسى منقاداً الى الاعتراف بوجودى الذاتى ( اي  
كذات مفكرة ) ، وإلا كيف ساغ لى ان اتخضع وان احكم على  
نفسى بانى اتخذعت اذا لم أكن موجوداً ؟ يمكننى ان أشك في  
كل شيء الا في كونى أشك ، وهل الشك الا صنف من أصناف  
التفكير ؟ وبما ان (التفكير) يستلزم وجود (الفكر) ، إذن :  
« أنا موجود . » ( ١ )

ولخص ديكارت هذه النتيجة ، التى أضحت قانوناً أساسياً  
لفلسفته كلها ، فى هذا الجملة اللاتينية المشهورة « Cogito ergo sum :

( ١ ) ويفرق ديكارت بين شيئين : عملية التفكير والاعتقاد ، وعملية  
الشعور بأننا نفكر او نعتقد : « إن عملية الفكر التى نصل بها الى اعتقاد  
الشيء ، ليست هى نفس العملية التى نعرف بها اننا نعتقد هذا الشيء » .  
عن حديث المنهج .

إني أفكر ، إذن أنا موجود .

على اننا نلهم عرجاً في هذه القاعدة التي تعد الأساس في مذهب الشك عند ديكارت ، وذلك ان الأجدر بالجملة - من الناحية المنطقية - ان تكون كما يأتي :

- |           |   |                             |
|-----------|---|-----------------------------|
| المقدمتان | } | ١ - التفكير يستلزم الوجود ، |
|           |   | ٢ - أنا أفكر ،              |
| النتيجة   | } | إذن :                       |
|           |   | ٣ - أنا موجود .             |

كما نلهم عطياً آخر ، وهو ان ديكارت لم يثبت فيما تقدم الا وجوده ( كذات مفكرة ) ، ولم يثبت وجود نفسه من حيث الحس والشعور ، ومن جهة اخرى لم يثبت وجوده من حيث هو جسم ، اي ( ما يعبر عنه ديكارت ، في حديث المنهج : ب ) « الذات التي كل كنهها انها تاخذ حظها من ( الامتداد ) » ، يعنى تلك الذات الحيوية التي تختلف عن الذات المفكرة وعن الروح التي « كل كنهها في انها تفكر » .

فلديكارت ، من هذه الناحية ، شبه كبير بالمعتزلة الذين حكّموا العقل في كل شيء ، وفوق كل شيء ، وتناسوا ان الإنسان حيوان ذو جسم وإحساس وعقل ، فاكتفوا باعتبارها من ناحية

أبسط المجرّد فحسب .

ومما يجب ملاحظته على الممتازة (خاصة) انهم تغافلوا عن  
ورد الافتطار (intuition) (١) مع ان الدور الذي يقوم به في وصولنا  
إدراك بعض الحقائق ، او البعض من الحقائق ، مهم جداً ،  
يوأزى عمل الفكر ( ان لم يتعدلا ) ؛ فحتى في العلوم الوضعية  
كالحساب بانواعه ( ميكانيك ، وجبر ، و ... ) ، وكذلك  
الرياضي ، فان الفكر لا يتمتع بالنفوذ المطلق عند البحث ، فلنتبع  
كالتحليلي وهو يحل مشكلة هندسية مثلاً ، اننا نلاحظ  
بداً بتسجيل إيحاء افتطار لا وبصيرته ، ذلك الضياء الذي ينير  
يريق اختراع التحليل دون ان يعتمد على المخيلة والحواس .  
لذا ينبثق رأي هذا الباحث ويسطو على السحب الكشيفية  
كانت تخيم فوق دماغه . بعد هذه المرحلة الاولى ، ياخذ  
لنا يختبر ما وصل اليه ، فيزنه بقواعد المنطق . ( نستنتج من هذا  
دور الفكر يأتي في المرحلة الثانية ) .

ومما يمكننا ان نوجه ضد الغزالي وديكارت على انتقادهما  
أسس والفكر أنها :

( اما الغزالي وديكارت فلم يهملوا [ انظر الفصل الذي بعد هذا ودراسة  
المنقذ من الضلال بصفحة ١٤٩ - ١٥١ ] .

أ) - إذا كانت الحواس تتحدعنا أحيانا ، فإن ( علم النفس ) يلقننا قواعد نمير بها حالات الخداع من حالات الصواب وتعطينا طرقاً نتجنب بها هذا الخداع (١) .

ب) - وإذا كان التفكير لا يؤتمن فيما ينقل اليه من احكام فان ( علم المنطق ) يحدد لنا قوانين نخضع لها تلك الاحكام فننخل بواسطتها الصحيح من الفاسد .

\*  
\* \*

٢- من النتيجة المتقدمة ( اي إثبات وجود نفسه ) يصعد ديكارت الى اثبات وجود الله :

افكر اذن انا موجود ، وانا لم أوجد ذاتي ، فاذن هناك كائن هو الذي اوجدني ، فهو موجود .

ثم إني أشعر اني لست بكامل ، وأعترف بوجود صفات للكمال است متصفا بها ، فلو كنت انا الذي أوجدت نفسي

١) و جهل المعتزلة لعلم النفس كذلك هو الذي يجعلنا نلص بعض الشذوذ في مذهبهم ؛ فعلم المنطق ما كان ليستقل بنفسه عن بقية فروع الفلسفة ، في دائرته الضيقة التي رسها له أرسطو .

فإذا كان المنطق يبحث في ( كيف يجب ان يفكر العقل ) ، فعلم النفس يقرر الكيفية الواقعية للتفكير وحقبة التفكير . فالمنطق يفرض قواعد ، وعلم النفس يستنتج القواعد مما يشاهد ، ويصفها كما يشاهدها .

لما جعلت فيها نقصاناً .

فعلى هذا لا بد من [ كائن ] أكثر منى كلاً هو الذى اعطاني

كل ما عندى .

هذا الكائن هو الله ؛ فالله اذن موجود .

نلاحظ على ديكارت كونه يذهب بنا إلى الشك المطلق ،  
الى اللانهاية السلبية ، ثم ياخذنا معها فجأة الى عالم مناقض  
للاول كل المناقضة ، الى اليقين المطلق ، الى اللانهاية الايجابية ،  
ولسان حالنا يقول ، متمثلاً بشرط بيت لأبى نواس : « كلام  
الليل يحو له النهار » .

فهو قد بالغ فى تشكيكنا أولاً ، ثم تقاننا فجأة الى اليقين التام ،  
الى اثبات وجود الله حتى اذا قلنا له : ان بقايا من الشك ما تزال  
تخالج فكرنا ، اجاب : ان فكرة وجود الله هي التى تخرجنا من  
هذا الشك . لكننا نسأله : أيستعان بالنتيجة على إثبات المقدمة ؟  
ما ظن ديكارت قادراً على إفحامنا .

ومن الأسس ايضاً التى بنا عليها ديكارت شكوكه ، اننا  
نحكم على الاشياء اعتماداً على أفكار وهمية ، كالأفكار الموروثة  
والمعتقدات التقليدية ، ويدعو الى نبذ تلك الافكار واجتناب

التقليد : إن المقلدين نفر لا يستطيعون تكوين فكرة شخصية في أو  
موضوع من المواضيع ، ولا يقدرّون على تمييز الحق من الباطل  
فيعتمدون على آراء غيرهم .

ونجد الغزالي كذلك يمقت التقليد ، ويدعو للشك في  
المعتقدات الموروثة ، كما أثبتها ابن الطفيل في رسالة حي ابن  
يقطان (ص ١٦ الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٣٦ ، النسخة العربية  
الفرنسية للمسيو جوتيي Léon Gautier) : « ... ثم قال [ الغزالي ]  
بعد ذلك : ولولم يكن في هذا الا لفاظا لا ما يشكك في اعتقادك  
الموروث لكنني بذلك نفعاً ، فان من لم يشكك لم ينظر (١) ،  
ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقى في العمى والحيرة ،  
ثم تمثل بهذا البيت :

« خذ ماترالا ، ودع عنك شيئاً سمعت بها » ❁

في طاعة الشمس ما يفنيك عن زحل .

فهذه صفة تعليمه ، واكثره انما هو رمز و اشارة لا ينتفع  
بها الا من وقف عليها ببصيرة نفسه أولاً ، ثم سمعها منها ثانياً ،

(١) ويقول م بيرني Joh Burnet في هذا المعنى : « إنما ليندر أن  
يبثت المرأ فكرة قبل أن يكون قد نقاها . »

أو من كان معداً لفهمها، فائق الفطرة، فهو يكتفي بأيسر إشارة...»  
ونجد هذا المعنى نفسه في آخر كتاب ميزان العمل،  
يقول الغزالي: «... ولو لم يكن في مجارى هذه الكلمات إلا  
ما يشكك في اعتقادك الموروث لتنتدب للطلب، فناهيك به  
نفعاً، إذ الشكوك هي الموصاة للحق، فمن لم يشك لم ينظر  
ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلal» (١).

\*

\* \*

ان ديكرت ينتقد الفلسفة وينجز الفلاسفة، [في حديث  
المنهج] كما فعل الإمام الغزالي في تهافت الفلاسفة لكن دون  
ادنى تحامل ولا مبالغة في التطرف، فلنقتبس اذن بضع فقرات  
من (حديث المنهج):

ان الفلسفة لا تقدم لنا الا ما يحتمل الصحة والبطالان، أو  
ما هو تريباً باطل لا أساس له. اما الكثير من العلوم فهي  
متضعضة الأركان لانها تعتمد على أسس فاسفة غير متينة.

ثم يقول في القسم السادس من نفس الكتاب:

ان مثل أتباع ارسطو «أى معتق الفلسفة التقليدية الجدلية»

(١) كثيراً ما يعيد الغزالي المعنى الواحد في مصنفات متعددة، كما  
نلاحظه في هذا المثال.

كمثل اللبلاب (١) الذي لا يحاول ان يعاود على الشجر المحيط  
بها. انهم على العكس ينحطون ، وانحطاطهم آت من جرأه  
ما يخترعون من صعوبات (لا يمر فيها ارسطو) ولم تدرك في خلاصة.  
فهذه الفلسفة لا تليق الا بالعقول المنحطية ، فإنهم يتسترون وراء  
غموض مبادئهم ، ليرتجوا في اى موضوع شاءوا دون ان  
يستطيع أحد أن ينجمهم ويظهر عجزهم ، فهم يعملون كأعمى  
يجر بصيراً الى قبر مظلم قبل الشروع في الملاكمة معها .  
(على ان انتقاد ديكارت لا يشمل ارسطو والفلاسفة القدماء ،  
وإنما هو موجه الى مقلدى ارسطو المقصرين ، وهذا فرق مهم  
آخر بين هجومات الغزالي وهذا الانتقاد .)

\*  
\* \*

ان من يقارن بين [المنقذ من الضلال] الآنف الذكر  
وبين كتاب [الاسابغ والتأملات] لترجمنا، يلاحظ ان  
ديكارت قد اقتبس أسس مذهبها من حجة الاسلام ، بل تكاد  
تكون العبارات معادة في المصنفين ، على بعد خمسة قرون تقريباً  
(بينهما ٤٨٥ سنة) . وقد قام بهذه المقارنة الاستاذ شارل سومان

---

(١) اللبلاب او البقلة الباردة (le lierre) : نبت يتعلق على الشجر وعلى  
كل ما في قربه .



الفرنسي ، في مقال ممتع ، اعترف فيها بأن الفيلسوف الأوروبى العظيم ، قد أخذ مبادئ مذهبها عن الإمام أبى حامد الغزالي رحمه الله .

\*

\* \*

« اعلم أن الشك في طبقات عند جميعهم ، (١) ولم يجمعوا على ان اليقين طبقات في القوة والضعف ، ولما قال أبو الجهم للمكى : أنا أكاد أشك ، قال المكى : وأنا أكاد أوقن ، ففخر عليه المكى بالشك في مواضع الشك ، كما فخر عليه ابن الجهم باليقين في مواضع اليقين .

وقال أبو اسحاق :

نازعت الملحدين والشكاك فوجدت الشكاك ابصر بجوهر الكلام من اصحاب الجحود .

وقال ابو اسحاق :

الشكاك اقرب إليك من الجاحد ، ولم يكن يقين قط حتى صار

---

(١) الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ج ٦ ، ص ١٠ ( وقد نبهني إلى هذا المرجع الاستاذ الكبير القاضى سيدي محمد السائح ) فنقلت هذه الامثلة هنا تكميلاً للفائدة .

ففيه شك ، ولم ينتقل احد عن اعتقاد الى اعتقاد غيره حتى يكون

بينهما حال شك ، (١)

وقال ابو الجهم :

ما اطمعنى في اوبة المتحير ، لأن كل من اقتطعته عن اليقين

الحيرة فضالته اليقين ، ومن وجد ضالته فرح بها .

وقال ابو اسحاق :

.... والعوام أقل شكوكا من الخواص لأنهم لا يتوقفون

في التصديق ولا يرتابون بأنفسهم ، فليس عندهم الا الإقدام على

التصديق المجرد أو على التكذيب المجرد ....

\*

\* \*

وقد آمن بهذا القانون أيضاً (الشك مبدأ اليقين) دفيدهيون

الإنجليزي ، وإمانيل كانط الألماني ، وشبينوزا الهولاندي

(١٦٧٧ - ١٦٣٢) ، وشادوا عليه فلسفتهم متممين مابدأ

ديكارت الفرنسي .

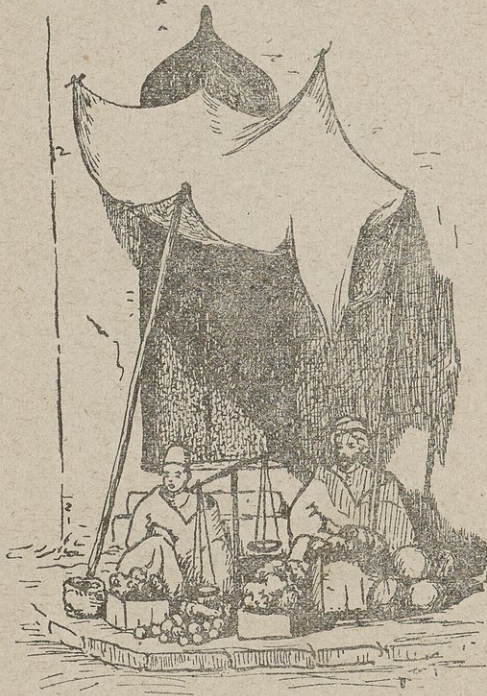
نرى مما تقدم ان أمس مذهب ديكارت أب الفلسفة

---

(١) يقول بهذه الفكرة نفسها الاستاذ Cuvillier في ج ١ ص ٤٦٦

من كتابه في الفلسفة .

العصرية، (كما يسمونها) ومذهب كثير من فلاسفة أوروبا الحديثة  
قد عرفت عند مفكري الاسلام منذ قرون عديدة.



# بضع ثوان مع الدكتور

زكي مبارك

يجد القراء فيما تقدم ، أي اكتفيت بإشارات إلى أفكار للغزالي  
ينتصر لها أقطاب الفلاسفة الحديثة الأوروبية ، وقد لبست حلتها  
التجديد واصطبغت بطابعهم الخاص ، وكان كل همي الإشارة  
فحسب ، لان موضوع هذا الكتاب لا يسمع أكثر من هذا . وانه  
لمن أهم المواضيع (لبحوث مهمة مفيدة) مقارنات بين افكار هؤلاء  
وافكار أبي حامد ، مقارنات ودراسات أمتن وأعمق مما حاوله  
الدكتور زكي مبارك ، (مع كل احتراماتي) ، في أطروحتي  
(الاخلاق عند الغزالي) . حيث لم يظهر فيها بشخصية الاستاذ  
زكي صاحب (التصوف الاسلامي والنشر الفني) .

تصدي الدكتور زكي لموازنة أبي حامد ببعض المعاصرين  
من فلاسفة الغرب ، لكن ليست بين تلك الموازنات وحدة الموضوع .

وإذا تجاوزنا فاستثينا مقارنته الغزالي بديكارت ، لا يرى للباقي  
من محل ، اذ لا يربط حجته الاسلام بأوثك الاوروبيين إلا  
جامعات ليست بأمتن من خيوط العنكبوت ، أبا قلم الدكتور  
الا ان يحو كها .

فلا كنف بأن اطلب من القراء أن يتفضلوا معي ، لنلقي جميعاً  
نظرة قصيرة على هذه المقارنة التي توفق فيها الاستاذ كى اكثر  
من توفقه في الموازنات الاخرى .

إن أول ما يفاؤنا فيها هو ان الدكتور كى كرس قوانين  
(حديث المنهج الاربعة) حتى أمست تكرفس كرفسة ، وذلك  
أنه ابتلع منها القانون الرابع ، أستغفر الله ، إنه عوضاً بقانون  
جديد (وهذا من شأن الكرام!) : إنه أقبر الرابع ، وأتى إلى  
الثالث وقز الأحتى صيرة أخرج ، وانتزع منه ما اصطنع به قانوناً  
رابعاً ، ونسبها لديكارت ، ويشهد الله والمتفلسفون أجمعون ان  
ديكارت لم يضعه ولم يسمع به قط .

فالدكتور قد ارتكب ذنبين كبيرين ، ما أظن إله الحكمة  
يغفرهما له ، وذلك أنه أولا هدم (منهج) ديكارت ، إذ جعله  
يرتكز على قواعد ثلاث عوضاً عن أربع ، ثانياً أنه أعطب القانون

الثالث عطياً خطيراً. (١)

\*

\* \*

فلنترك ديكارت يبحث على الدكتور ، ولنتقل من ص ٣٨٠ إلى التي تلي ، ففيها ما يلفت النظر .

يترجم الدكتور كلمة Intuition بالبصيرة ، ثم حاول شرح معناها ، فإخانه التوفيق ، ولفق من جديد شيئاً جديداً على ديكارت ، وأشار من جديد إلى هذا في ملاحظتين :

(١) منطقية - إن الدكتور يتناقض في تفسيره ، فهو تارة يدعى أن (intuition) جارحة : « الجارحة التي تدرك الحقيقة مباشرة » ،

وطورا إنها إدراك : « إدراك العقل السليم » ، والفرق بين (جارحة) و(إدراك) بيّن واضح .

ثم يقول : « إنه يولد فقط من أضواء العقل » . فهل الجارحة هي أضواء العقل ، أم أضواء العقل هي الجارحة ؟ ! فلماذا الدكتور حرية الاختيار ... رجاء الا يحقن علي .

(١) انظر « الاخلاق عند الغزالي » ص ٣٨٠ ، وفي هذا الكتاب ص

٢١٤ - ٢١٦ ثم ارجع الى الاصل الفرنسي (Discours de la Méthode)

وبعد ذلك قارن ....

مكرر (الحسنة)  
صالح  
اطلعه

إن ديكارت يتبرأ بكل قوا من مسؤولية هذا التناقض ؛  
 فلننظر كيف يعرف (الأنتويسيون)<sup>(١)</sup> : « ف intuition عندي  
 ليس هو أن أجعل ثقتي في شهادة الحواس المتغيرة أو في الاحكام  
 المخاتلة التي تقدمها لنا المخيلة ، بل هو ادراك العقل السليم  
 اليقظ ، الادراك الذي لسهولته ووضوحه لا يبقى معه شك فيما  
 نفهم ؛<sup>(٢)</sup> او بعبارة اخرى : الإدراك الوطيد (الثابت) الذي  
 يتولد من اضواء الفكر فحسب ، في عقل سليم يقظ ، وهو امهل ،  
 وطبعاً أرجح ، من عملية استنتاج المطالب من المباديء ... » .<sup>(٣)</sup>  
 فهذه العملية تستنتج تدريجياً ، اما (الأنتويسيون) فتبصر بالشيء  
 دفعة ، وتدركها بسرعة .

فليس إذن في تعريف ديكارت لفظه ( جارحة ) البتة ، فهي  
 من منتوجات فكر الدكتور « بارك » ، بارك الله فيها ، وزكاة من  
 قلم الامتاذ زكى .

(١) عن كتاب « قواعد لقيادة العقل » لديكارت

(Règles pour la direction de l'esprit)

(٢) فعن طريقه نتيقن مثلاً أن ( الجزء أصغر من الكل ) ، وأن (الكل  
 اكبر من الجزء ) ، ونعتقد صحة أن [ الشيء لا يكون معدوماً وموجوداً  
 في آن واحد ] ، وغير ذلك مما هو بديهي .

(٢) الملاحظة الغوية : أرى ترجمتها (١) ببصيرة لا يجوز ،

لأن البصيرة كما في القاموس : « الحجة والاستبصار في الشيء » ،

و (أنتويسيون) عند ديكارت : إدراك سهل واضح وليس بحجة ،

لان الحجة من قبيل déduction (٢) ؛ ثم ان : « البصيرة في القلب كالبصر

في العين ؛ البصيرة تدرك المعقولات ، والبصر المحسوسات » : (٣)

فالبصيرة في القلب ، وديكارت يجعل (أنتويسيون) إدراكا يتولد

من أضواء الفكر فحسب ، في عقل سليم يقط ؛ فبينهما إذن بون

شاسع . فالأولى أن يطابق على intuition (عند ديكارت) لفظة

(حدس) أي : « معرفة الانتقال من معلوم إلى معلوم » ، كما يقول

الغزالي في تهافت الفلاسفة . وجاء في الفروق أيضاً : « الفكر

هو الانتقال من المطالب الى المبادئ ، ورجوعها من المبادئ الى

المطالب ؛ والحدس هو الذي يميز عمل الفكر . »

أما (أنتويسيون) ، لا عند ديكارت فحسب ، بل في معناه العام فهو : (٤)

(١) أعني intuition عند ديكارت .

(٢) انظر ص ٢٣٣ .

(٣) عن فرائد اللغة ، ج ١ في الفروق للأب لامنس .

(٤) أقبح في هذه المسألة لانها أمست من النقط الاساسية في الفلسفة

الحديثة ، وإنهم ليهتمون اليوم بدراسة أنتويسيون بقدر ما يهتمون

بدراسة العقل .



الإدراك الواضح المباشر للحقائق التي تحصل في العقل ،  
بلا واسطة التفكير . فصوت الضمير مثلاً ، ليس الانوعاً من  
الافتطار يدفعنا الى الصلاح والخير . وقد توسعوا في معنى  
(انتويسيون) فأطلقوا على الشعور بالشئ ، قبل وجوده ، او مع  
عدم وجود قرائن .

وفي الاصطلاح الفلسفي : فهو حال من احوال الادراك  
السريع بلا واسطة التجربة او التفكير ؛ الادراك لاول نظرة ،  
غير معتمد على براهين وبحث ؛ ادراك البسيط لا المركب  
أما برثسن Bergson فقد جعل من (الانتويسيون) أساساً  
متيناً لضرب طري من البحث دخل بالفلسفة في دروب جديدة .  
فعندنا أن الانسان شخصان ، (١) شخص سطحي وشخص عميق  
فالاول يعتمد على العقل واللسان ، وهو شخص محدود ، يبين ،  
سطحي . أما الثاني فإنه مبهم ، دائم الحركت ، ومن الممتنع التعبير  
عنه ، لكنه اكثر عمقاً من الآخر إذ هو بحق الشخص الاصل في الانسان .  
فالفكار العلمية مثلاً التي يقدمها لك الاساتذة .. او تقرأها  
في الكتب ، افكار تدخل الى شخصك السطحي لانها لاتصل

(١) انظر ص ١٥٠ و ١٥١ من هذا الكتاب .

الابعقلك ولا تتغافل في شخصك العميق ، أي إنها شيء جامد  
أضيف إليك ، عارض قابل لأن ينسحب حيث انه ليس من كنهك .  
انظر وا كيف يعبر ( برجسن ) عن هذا ، في تشبيهه بديع :  
« فالافكار الجامدة التي يتكون منها الشخص السطحي تطفو  
فوق مساحة مشهورنا الداخلي ، كما تطفو الاوراق الذابلت فوق  
ماء البحيرة » . ( ١ )

\*

\* \*

وهنا تتساءل : كيف يمكننا ان نصل الى هذا الشخص  
الاصلي العميق الذي يحجبه عنا الشخص السطحي ويحولنا عنه ؟  
يحيينا ( بر كسن ) بأن الطريق الأوحده وانتويسيون ، أي : « ذلك  
النوع من الانجذاب النفسى الذي ينتقل به المرء الى داخل الاشياء  
ليتمزج بما انفرد به كل واحد منها ، وبالطبع ما يعجز عن التعبير عنه » .  
ومما يزيد في قيمته ( الانتويسيون ) ان ديكرت و برجسن

---

( ١ ) ان الاستاذين أحمد أمين وزكى نجيب محمود ( قصة  
الفلسفة الحديثة ص ٥٢٩ ، ج ٢ ) ، عند كلامهما عن بر كسن ، أعطيا  
تفسيراً شعرياً لـ ( أنتويسيون ) اكثر منه فلسفياً ، حيث يعبران عنهما  
بـ : « حاسة حياة » ، ولا ندري .. أين ولا كيف هاته الحاسة ؟ فهد  
اسلوب رمزي غامض يحتاج إلى كثير من الشرح والدقة . وقد أتى  
الأستاذان بتوطئة طويلة لأنتويسيون ، لكنهما حين وصلا إلى المقصود  
مرا ( مرور المومنين على الصراط ) ، فالرؤيا عندهما أطول من الليل .

متمدان عليها لبناء صرح (ميتافيزيقي أي ما وراء الطبيعة) جديدتاً،  
للغزالي - شيء من الشبه - بهما في هذه الناحية (فقد حاول  
الوصول للحقائق عن طريق الذوق والإلهام ، كما رأينا). (١)

\*

\* \*

عرفت الانتويسيون قبل برثكنس والغزالي وديكارت .  
فأفلاطون يجعل من الافكار أسس المعرفة ، ويرى ان الوصول  
إلى هذه الافكار يكون عن طريق (الادراك السهل المباشر الذي  
يتجلى كأنه ذكرلة تستيقظ بداخلنا) ، وهذا الادراك طبعاً هو  
الانتويسيون .

ونجدها أيضاً عند أرسطو ، وعند القديس طوماس (على  
ان هذا الاخير قد صبغها بالصبغة الدينية) . كما عرفها آخرون  
غير هؤلاء ، من القدماء وكثير من الجدد ك (مالبرانش)  
(وكانط) و (بوسيني) .

ويعبر عنها نبي الاسلام (صلعم) في حديث حسن أخرجه

---

(١) بما انه يصعب ترجمة (intuition انتويسيون) بلفظة عربية جامعة  
لختلف معانيه ، اقترح ان يدخل في اللسان العربي هذا اللفظ الاعجمي  
عوضاً من ان نبقى نتردد بين ذوق ، وحدث ، وبصيرة ، وافتطار) ، وان  
تسمى انتويسيون مرادفة لـ intuition في مختلف المعاني .

البخاري في تاريخه : « استفتت نفسك وإن أفنك المفنون »  
وقد شرح المناوي (١) هذا الحديث شرحاً ظريفاً اقتطعت منه  
هذه الجملة : « استفتت نفسك المطمئنة الموهوبة نوراً يعرفون  
الحق والباطل ، والصدق والكذب . وفي رواية : قلبك أي  
عول على ما فيه ، لأن للنفس شعوراً بما تحمد عاقبته أو تدم . . . »  
فالفضل يرجع إلى بر كسرها مهما يكن من شيء ، لأنه وإن  
كان لم يكتشف الانتمويسيون ، فقد أعطاهما حقهما من الدرس  
والعناية ، وجعل لها مجالاً خاصاً بها بعد أن رسم للعقل  
حدود مجالها .

\*

\* \*

لا أريد في هذه العجالة سوى أن أنبه إلى أن الدكتور زكي  
لم يف بما كنت أتوقع أن أجده في كتابه ، وقد كان يجب أن يعتمني  
آخرون بموضوع ( الغزالي والفلاسفة المحدثين )  
ولم ارد في هذه العجالة أن أنتقد كتاب ( الاخلاق عند  
الغزالي ) ، لان ذلك يخرج برى الى تطويل ، وسأرفى - ان فعلت -

(١) في ج ١ ص ٤٩٥ من كتاب شرح القدير على الجامع  
الصغير للسيوطي .

مضطرا الى مواخذة الدكتور على امور وامور ، من ذلك اتهامه الغزالي بأنه يمتاز بقسط كبير من الغفلة لمجرد روايته بعض الاحاديث لم يستملحها ذوق الدكتور ، فحكم عليهما بالضعف جزافا ، ناسيا ان لعلم الحديث قواعد ترتكز على التاريخ - لان الاحاديث نقلية - وعلى المنطق ومعرفة اسرار التشريع والسيرة النبوية . . . اكثر مما تعتمد على الذوق الذي هو نسبي يختلف باختلاف الافراد ، فلنستمع لما يقوله الدكتور ، (ص ١١٧) :

« ... كيف صدق الغزالي ان النبي يقول : (ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ) و اقل الناس علماً بالبلاغة يدرك ان رسول الله لا ينطق بمثل هذا الحديث ؟ » !

ما هكذا يادكتور ينتقد الحديث ، فالفقرة الاولى ، مقتبسة من القرآن (١) الكريم ، واما الفقرة الثانية (من الناحية البلاغية ، أي اتباعاً لطريقتهم ، فهي تشبيه مركب ملفوف على حد قول امرئ القيس :

« كأن قلوب الطير رطباً وياساً » ❁

كأدى وكرها العناب والحشف البالى .

---

« ١٦ » الآية ٢١٤ ، الحزب ٢٤ ، سورة هود ، قال الله تعالى : « إن

الحسنات يذهبن السيئات . . . » .

طرقه الاولان معنويان والآخران حسيان ، ولهذا يعد  
من التشبيهات البليغة .

\*

\* / \*

كما سأراني مضطراً ( لو أتى تصديت إلى انتقاد الاخلاق عند  
الغزالي ) إلى التساؤل لماذا يصرح الدكتور بأن إخوان الصفا ،  
والفارابي ، وابن سينا قد أثروا في تكوين الغزالي ، دون ان يجعل  
لحكماء دعائم ، ودون ان يبين لنا إلى أي حد كان هذا التأثير ،  
وبم ، وكيف كان ، مع ان موضوع كتابه يتطلب منه بكل الإحاح  
هذه الدراسة .

\*

\* \*

وتتساءل أيضاً لماذا يذكر من بين كتب الغزالي ( المضمون به  
على غير اهلنا ) دون ان يفرق بين الأصغر والأكبر ، حتى انها  
في الفصل الخامس « الكذب على الغزالي » عشر عشرة ليست بالهينة إذ  
جعل ( كتاب النفخ والتسوية ) على حدة ، و ( المضمون به على غير اهلنا )  
كتاباً آخر مستقلاً مع ان العنوانين لمصنف واحد يسمى بالاسمين  
معا . والكتاب يعزى لابن حامد كما ينسب للعالم المغربي ابي الحسن

على المسفر (١).

\*

وسأراني ملزما ايضا أن أحاسبها باسم علم الحساب ،  
وباسم الحيسوبيين ، على جملة ٥٣٠ سنة بين الغزالي وديكارت (٢) ،  
مع ان عملية السقط والطرح البسيطة تهطينا نتيجة غير التي  
ادعاها الدكتور ، فالغزالي مات سنة ٥٥٥ هـ اي سنة ١١١١ م  
وديكارت ولد سنة ١٥٩٦ م ، فالبعد بينهما ٤٨٥ سنة ، (الفرق  
يادكتور ، ٤٥ سنة ؛ ومن الغبن الغض عن ٤٥ سنة ، وهي  
تكاد تكون حياة كاملة ..)

\*

\* \*

وسأراني منقادا لان اظهر تصميحي عن الإغريق (٣) :  
« . . ولا ادري ماذا يفعل الغزالي إذا اقسم الاغارقة بالله جهد  
ايمانهم انه لم يكن لهم إله واحد ، وانما كان لهم الف إله وإله ،  
بل كان من آلهتهم من يحض على اللذة ، ويمهد للفسق السبيل !! » .  
فأيم الله جهد أياني ان هنا قدح بغير علم في الإغريق ،

«١» انظر ص ١٥٦ بهذا الكتاب .

«٢» انظر ص ٣٧٤ من (الاخلاق عند الغزالي) .

«٣» ص ٧١ من الكتاب نفسه .

وتنقيص من تفكيرهم ، وتجريح في آلهتهم يستلزم حد القذف على الدكتور زكي .

بارك الله فيك يادكتور ، إن لفظة (إله) تشعرنا بمعنى السمو في الكنهه والاتجالا . فالإله عنصر الحسن ، ومصدر الخير . اما لفظة (لذة) ، وكلية (فسق) فتشعراننا بمعنى السقوط والانحطاط والازدراء . فكيف ساع للدكتور ان يجمع بين المعنيين المتناقضين المتضاربين ، معنى الالوهية التي تحلق بالافكار في اوج السمو وتحذر النفوس الضعيفة من الزلل والسقوط الى حضيض الشهوات البهيمية ، ومعنى فسق اي : « الترك لامر الله والعصيان والخروج عن طريق (١) الحق » ؟

ان الإله يرفع نحو الكمال ، وينزل بمطرقته الصارمة فوق جمجمة اولئك المنغمسين في الملامة ، المنجذبين نحو هوة الفسق بحارف اللذة .

فالا فكار الدينية والاخلاق ، كل اولئك نسبي . فلا يجوز لكم يا حضرة الاستاذ ان تزونا معتقدات الاغريق القدماء الوثنيين ونظرياتهم في الاخلاق ، بفكركم الشرقي المسلم

(١) كذا يعرفه صاحب القاموس .



الموحد ، فمثلا نقول ان الخمر حرام لاننا نحكمكم بفكر متشبع بالتشريع الاسلامي ، وفي نفس الوقت نجد قبطيا - مصر يا مثلكم - لا يقول بهذا التحريم . كما انكم تاكلون لحم البقر ، وتستهلون مطبوخا ومشويا ، في حين ان الهندي البرهمي المعاصر ، وهو ابن الشرق كذلك ، يقدس البقر ويحرم على نفسه ما تفعلونه انتم كشيء طبيعي .

لفظ ( فسق ) يطلق غالبا على اللذة الجسمية ، وعلى اعمال الذين يخرجون عن طريق الحق والصواب ، ويستحقون بطبيعة الحال عقابا من ربهم ؛ فياذا كان هذا الرب المعبود يحض هو نفسه على اللذة ، ويمهد للفسق السبيل ، ارتفعت عنهم المسؤولية واضمحلت إمكانية الجزاء على ( الفسق ) ، بل إنهم يعاقبون ، إلزاما على تركهم الفسق مادام الإله هو الذي يمهد لهم السبيل اليه ، ويحضهم عليه ! ..

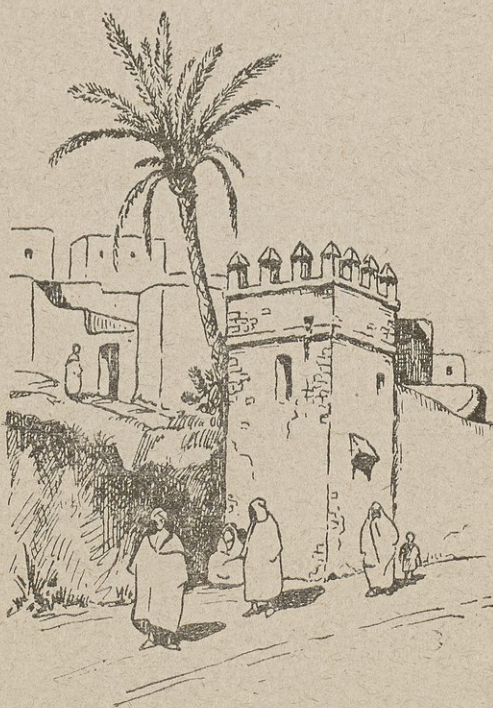
حقا ، كان عندهم باخوس Baccus إلهاً للخمر ، اي مشرفا على زراعة العنب ، ولكن لم يكن الخمر فسقا بالنسبة اليهم حتى تعتبر باخوس يمهد للفسق السبيل .

وكان عندهم كثير من الآلهة [ الف والوا ، كما يقول

الاستاذ زكى [ ولكن فلنكتف بمثال باخوس ، وليتفضل حضرة  
الدكتور بمراجعة [ الميثولوجية (١) ] الاغريقية من جديد .

☆☆☆

فليسمح لي القراء ان اکتفیت بهذا القدر من مناقشة  
الاستاذ زكى ، وليسمح لي زكى الاستاذ ، فإنما هذا اول  
خطوة للتعرف لا للتصادم .



## خاتمة

هذه الدراسات أقدمها للمواطني ، ولأريب أنها امتثال رضا وتشجيعا  
من فريق ، وانتقاداً نزيها يستفيد منه الجميع ؛ وستكون من ناحية  
أخرى سبب حرب من السبب والتشويش يرسلها المفرضون  
شعواء ، والرجعيون هوجاء ....

ولقد قرأ البعض من إخواني - لجمود هؤلاء ، ولسوء نية  
الآخرين - ألف حساب ، فألحوا عليّ في أن لا أنشر الآن الا  
القليل النزر مما كان بودي أن أجعله بين يدي كل قاري انفتح  
فكره ، ونضجت معارفه ، حتى اضحى قادراً على متابعة الحركة  
الثقافية في الشرق والغرب ، وسما عن حضيض التقليد الى مرتبة  
الاستبصار ، ينخل الحق من الباطل ، فيدافع عن الحق بقلب  
سليم ، ويفض الباطل بالتي هي أحسن .

اتبعت نصيح هؤلاء الأصدقاء ، وأول ما يتبادر للذهن أن  
في هذا اعترافاً بأنني خفت في الحق لومة اللائمين ، ورضخت

لحب الاطمئنان وآثرت العيش الهادي ، وأيم الحق ان ليس  
في هذا من حق ؛ فالجمود وعدم احترام افكار الغير ، وتهديم  
كل مشروع ليس مطبوعاً بالصبغة الفلانية او الفلانوية . . . كل  
ذلك امراض في المجتمع المغربي ، فعوضاً من ان نصارع المرضى ،  
يجب ان نعاملهم باللين ، وان نحبطهم بعلاج مستمر سل تدريجي  
(فالداء بالقنطار ، والراحة على رأس الإبرة) كما يقول مثلنا العامي .  
فهذه رسالتنا مفتوحة لآ ولئك الاصدقاء الذين سميت بهون  
الى حذف فصول وتعاليق كنت أطلعتمهم عليها في تصميم هذا  
الكتاب قبل طبعه ، فابعلوهوا اني ما تأخرت عن ذلك خوفاً من  
اسخاط جماعة او حياءاً في إرضاء أخرى (١) .

☆☆☆

بهذه السلسلة أضع إن شاء الله لبيتني فيما يضع إخواني لدعم  
ما هو وإصلاح ما عوج من صرح المدينة المغربية ، وكل همي  
أن أراعي الوسط الذي اكتب له - كما فعلت في هذه الحلقة -  
حتى نصل الى الغاية المنشودة ، فاكتفيت ، وسأكتفي ، بالترجمة  
(مع تعاليق او بلا تعاليق) حيناً ، واحبر فصولاً تكميلية أحياناً ،  
«١٠ كما أني اضطررت قهراً الى حذف بعض الفصول تحت وطأة  
بعض الظروف ....

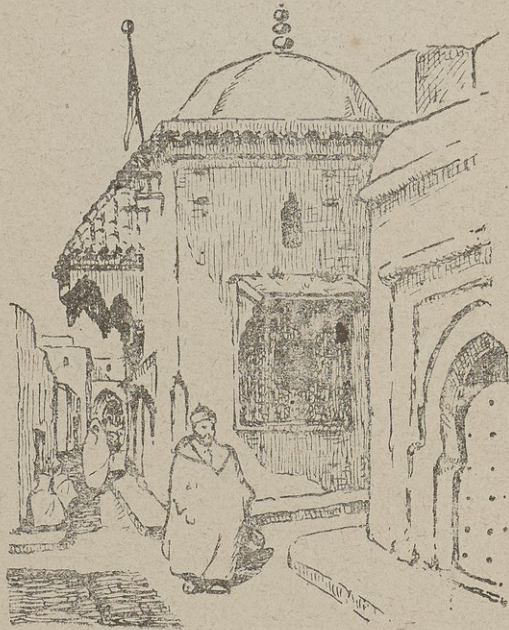
والخص طوراً ، وألزم الصمت في كثير من الحالات لان وقت  
التعليق عليها او التحدث عنها لم يات بعد .

\*  
\*

ويحذر بي ، قبل ان اودع القاريء ، ان ارفع خالص شكرى  
لاصدقاءى الغيورين الذين شجعونى ماديا على طبع الكتاب  
حيث أقرضونى من مالهم ما انا معترف لهم به على الدوام .

\*  
\*

« ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا و هب لنا من لدنك رحمة » ،  
« ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن » .



# الفهرس<sup>(١)</sup>

## الموضوع

الصفحة

٢ تمهيد

٧ ☆ ترجمة مقدمة الفصل الاول من (مفكر و الاسلام)

٩ ملخص ما تحتوي عليه مختلف الاجزاء

١٠ الفلسفة السكولامتيكية

\*

\* \*

## القسم الاول : علم الكلام

١٥ ☆ الاسلام والبحث الفلسفي

١٧ ماهو أصل علم الكلام ؟ (رد على الرأي المتقدم)

١٩ - ٢١ الاسلام يحض على التجربة - (مقارنة بالفلسفة اليونانية) -

٢١ - ٢٤ آثار السياسة والدياسين والمتغلبين في الاسلام (ذبوع

الاسرائليات) - الجمود - احتكاك المسلمين بغيرهم -

---

(١) ☆ كل الفصول المسبوقتها بهذة العلامة: ☆ فترجمتها

٢٤ - ٢٧ موقف المسيحية وموقف الاسلام من الفلسفة - تأثير كل من المسيحية والاسلام في الآخر .

٢٨ - ٢٩ ☆ المتكلمون والمعتزلة : المعتزلة كفار ! - ضياع كتبهم .

٢٩ - ٣١ تعليقان : بعض الكتب التي تتكلم عن الاعتزال - السعودي .

٣٢ - ٣٥ إيضاح حقيقتنا : قيمة المعتزلة [ على هامش الفصل المتقدم ]

الاسلام لا يكفر المعتزلة - الاعتزال والراسيوناليزم .

٣٥ - ٣٨ ☆ أمس مذهب المعتزلة : الاصول الخمسة .

٣٩ - ٤٠ ☆ آراء المعتزلة : هم أهل العدل والتوحيد - آراء مشتركة بين جميعهم

☆ مختلف مدارس المعتزلة .

٤٢ المدرسة الاولى : الواصليون .

٤٣ المدرسة الثانية : مدرسة أبي الهذيل .

٤٥ المدرسة الثالثة : النظاميون .

٥٠ ☆ الخلفاء والصراع المذهبي : عدم تسامحهم !

إظهار حق : تسامح الخلفاء :

٥٢ - ٥٣ التعصب غربي - الحركة الفكرية الاوروبية بالقرون الوسطى

٥٤ - ٥٧ عمل الخلفاء للرقى العام - تبرير بطشهم بالبعض من رعييتهم

٥٨ - ٦٢ ☆ الامام الاشعري : حياته - مذهبه .

٦٢ - ٦٣ الابانة عن أصول الديانة - مقالات الاسلاميين - الخوض في الكلام

\*

☆ ☆

## القسم الثاني : العقائد .

- ٦٥ ☆ عقائد النسفي .
- ٧٢ - ٧٦ تعاليق ( على هامش العقائد ) - عقيدة اهل السنة - الجيلاني
- ٧٤ - ٧٦ كريدو - كاتيشيسم
- ٧٦ - ٧٨ الذرات - تيمورلنك
- ٧٩ - ٨٨ ☆ كتاب المواقف : المواقف الستة - قسم الاعراض
- ٩٠ - ٩٥ تعليقاتان : « على هامش كتاب المواقف » - المقولات - العرض
- يقوم بالعرض

\*

\* \*

## القسم الثالث : الغزالي .

- ٩٨ ☆ نظرية قصيرة في حياته .
- ١٠٢ ☆ أسلوبه .
- ☆ كتاب احياء علوم الدين .
- ١٠٩ ☆ كتاب كيمياء السعادة .
- ١٢٢ - ١٢٨ مركز الحافظة ومركز المخيلة .
- ١٣١ الاستنتاجات من دراسة ( كيمياء السعادة ) .
- ١٣٣ الرسالة اللدنيمة .



- ١٣٧ ☆ رأي الغزالي في علم الكلام .
- ١٤٢ ☆ مؤلفاته ذات الصبغة الفلسفية القحة .
- ١٤٣ على هامش هاته الكتب الفلسفية - المنقذ من الضلال .
- ١٥٤ المضمون به على غير أهله .
- ١٥٨ كتاب مقاصد الفلاسفة .
- ١٥٩ أيها الولد !
- ١٦٠ الدررة الفاخرة - جواهر القراءان .
- ١٦١ منهاج العابدين .
- ١٦١ جان جاك روسو .
- ١٦٤ - ١٧٢ ☆ كتاب تهافت الفلاسفة .
- ١٦٨ كانط .
- ١٧٣ - ١٨٨ على هامش تهافت الفلاسفة .
- ١٧٤ رأي ابن رشد في كتاب التهافت .
- ١٨٦ تصریح لابن الطفيل في أبي حامد .
- ١٩٠ ☆ الغزالي ومخاطرة باسكال .
- ١٩٢ تعاليق : باسكال .
- ١٩٤ - ١٩٥ سيلي بريدوم - تعاليق لهسيو كارا
- ١٩٥ ١٩٦ المخاطرة عند البوصيري - بالقراءان - بالانجيل
- ١٩٧ الفرق بين مخاطرة المعري وباسكال والغزالي
- ١٩٩ اللانهاية - إيضاح جبري .
- ٢٠٣ تطبيق من القراءان .

٢٠٦ ☆ رأي الدكتور ساشو في أبي حامد

٢٠٧ تعليق : غاليلي - كيبليير

٢٠٨ نيوطن

٢٠٩ - ٢١٢ ☆ دحض الرأي المتقدم

### الشك مبدأ اليقين

٢١٣ ديكارت .

٢١٤ فلسفته ( القوانين الاربعة ) .

٢١٧ مذهب الشك عند الغزالي وديكارت

٢١٨ نتيجة ارتياب ديكارت

٢٢٠ نقد قاعدة ارتيايه - ديكارت وبتزلة

٢٢١ نقد موجه ضد الغزالي وديكارت

٢٢٢ طريقة إثبات وجود الله عند ديكارت

٢٢٣ المعتقدات الموروثة والغزالي وديكارت

٢٢٥ ديكارت يذم الفلسفة

٢٢٧ مقتطفات من كتاب الحيوان عن الشك واليقين

٢٣٠ بضع ثوان مع الدكتور زكي مبارك

٢٣١ موازنة الغزالي بديكارت

٢٣٢ Intuition الاتويسبون ، ( ملاحظة منطقية )

٢٣٤ ملاحظة اغوية

٢٣٩ اتهام الدكتور زكي الغزالي بالغفلة

٢٤١ تصريح للدكتور حول ءالهة الاغريق .

٢٤٥ خاتمة

مكتبة الامنية

12.638

رب



**Elmer Holmes  
Bobst Library**

**New York  
University**

سنة التأسيس - وصدق المواعيد

الاثنان المناسبتا

NYU - BOBST



31142 02770 0080

# LES PENSEURS DE L'ISLAM

---



MOHAMED LAHBABI

---

IM. OMNIA - RABAT